سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

في القرآن الكريم

د. إبراهيم عبدالله جابر محمد*

الملخص:

يتناول هذا البحث في مضمونه "موضوع سيرة النبيﷺ في القرآن الكريم" من خلال ما ورد في القرآن من آيات تتعلق بحياة النبي ﷺ وسيرته ويهدف البحث إلى محاولة بيان أسلوب القرآن الكريم في عرض حياة النبي ﷺ وسيرته لمختلف مراحل حياته وشؤونه في مختلف الجوانب، والتعرف على المعاني والأحكام والدلالات من خلال آيات القرآن التي تناولت حياة النبي ﷺ وسيرته والقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الاسلام، وهو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ لفظاً ومعنى، بطريق الوحي.

وهو المصدر الأول في معرفة الملامح العامة لحياة النبي ﷺ وفي الاطلاع على المراحل الاجمالية لسيرته ﷺ وشؤونه، وقد اشتمل القرآن الكريم على أحداث ووقائع كثيرة من سيرة الرسول ﷺ وحياته وشؤونه سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها.

وتناولت آيات أخرى في القرآن الكريم التعليق على الوقائع والأحداث التي كانت تعرض للرسول ﷺ وموقفه منها.

وبين القرآن الكريم كذلك جزءاً مهماً من سيرة الرسول ﷺ، من خلال ما ورد من آيات العتاب لأعمال الرسول ﷺ وتصرفه في بعض الأمور التي كانت تصدر منه أحياناً اجتهاداً.

وقد اشتمل موضوع البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث تضمن كل منهما عددًا من المطالب وخاتمة.

المقدمة: أشرت فيها إلى أهمية الموضوع وهدفه وخطته، والمنهج المتبع في بحثه.

المبحث الأول: تناول الحديث عن التعريق بالقرآن والسيرة لغة واصطلاحاً. وجاء في متطلبات.

* أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية التربية بالحديدة - جامعة الحديدة - ورئيس قسمي القرآن وعلومه والدراسات الإسلامية بكلية التربية – الحديدة.

والمبحث الثاني: اشتمل على عرض موجز لأسلوب القرآن في عرض سيرة الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها، وجاء في مطلبان، تضمن كل منها عدة فروع.
وخصص المبحث الثالث: للحديث عن آيات العتاب لأعمال النبي ﷺ وتصرفاته وجاء في ستة مطالب.
أما الخاتمة: فاشتملت على أهم نتائج البحث وتوصياته.
كما ضمنت البحث بفهرس للمصادر والمراجع مرتبة على أحرف الهجاء وآخر للموضوعات.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، المبعوث رحمة للعالمين، المنزل عليه القرآن العظيم، هداية ودستورًا وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

إن شخصية الرسول ﷺ محمد بن عبدالله من أبرز وأعظم الشخصيات التي عرفها التاريخ طهراً ونبلاً، وأنه ﷺ من أميز أولئك العظام الذين تركوا آثارًا خالدةً في كمال خلقه وشمول عظمته.

وقد اختار الله تعالى محمد ﷺ لتبليغ رسالته إلى الناس كافة لصفات تجمعت في شخصه الكريم، ومزايا تحلى بها عن غيره من البشر، بعد أن منحه الله الكمال في الخلق الاجتماعي، وأعدّه إعدادًا علميًا وخلقيًا خاصًا، وجعله يتصف بأعلى الكمالات النفسية والخلقية والعقلية، ليكون للمسلمين الصورة الحية الخالدة في كمال خلقه وعظمته.

فاندفع بجميع قواه يبلغ هذه الرسالة، بين العرب وغيرهم من الأقوام، وتحمل من أجل ذلك صنوفًا من الأذى هو وأصحابه من أولئك الذين كانت قلوبهم قاسية وعقولهم متحجرة، ومع ذلك كان يرجو الهداية لقومه، وخاطبه ربه بقوله: **(إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعلَمُ بِٱلمُهتَدِينَ ٥٦)**[1]

إن القرآن الكريم هو معجزة الله تعالى الخالدة لرسوله ﷺ وهو كلام الله تعالى المنزل من عند الله تعالى على رسوله محمد ﷺ لفظًا ومعنى والمنقول عنه نقلاً متواتراً.

[1] القصص:٥٦.

والقرآن الكريم هو كتاب الله تعالى المبين والمصدر التشريعي الأول في الإسلام أنزله الله على رسوله محمد ﷺ هداية ودستورًا ومنهجًا للحياة وقائدًا وموجهًا، ينظم حياة الناس، ويهديهم إلى الطريق المستقيم.

إنه المنهج الذي يرتسم الطريق الذي يسلكه المسلم في تصوره، وعقيدته في قصصه، ومواعظه، وعلومه وأخباره. والقرآن الكريم يقف في مقدمة مصادر السيرة، ويتضمن بيان العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية، وترد فيه آيات الأحكام ذات الأهمية الكبيرة في بيان النظم الإسلامية ونشأتها فهي تلقي ضوء على التشريعات الاجتماعية الاقتصادية والسياسية التي عمل بمقتضاها النبي ﷺ في إدارة الدولة الإسلامية الأولى، ومنه نستمد معاني السيرة الشريفة والتعرف على التوجيهات والأوامر الموجهة الى الرسول ﷺ بوصفه كتاب هدى ورحمة وتشريع.

فإذا كان القرآن الكريم هو معجزة الله تعالى الخالدة للرسول ﷺ، فإن السيرة النبوية هي التطبيق العملي للهدي القرآني لتمثل هذه الرسالة في شخص الرسول ﷺ. وهي بذلك نموذج سلوك، ونمط حياة، وسجل خالد للكمال الإنساني في شتى مجالات الحياة، والتي تمثل في حقيقتها أفعال رسول الله ﷺ ومعاملاته وأقواله وأفعاله وأخلاقه وعباداته والتي تدل على تطبيقه لكتاب الله تعالى.

ذلك أن النبي ﷺ قد تمثل كتاب الله تعالى في حياته وتخلق بأخلاقه فكنت حياته ﷺ وشخصه العظيم وسيرته، وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس، ترجمة حية، وتطبيق عملي لمعاني القرآن، وآدابه وتوجيهاته وتشريعاته، والتخلق بأخلاقه.

والقرآن الكريم هو المصدر الأول في معرفة الملامح العامة لحياة النبي ﷺ وفي الاطلاع على المراحل الاجمالية لسيرته ﷺ إذ يقدم القرآن الكريم بصورة اجمالية، تفاصيل حياة النبي ﷺ، من الوقائع والأخبار والمواقف أعظم أثراً من سيرة النبي ﷺ، التي أراد الله لها الخلود، بنظمه المعجز، وروعة بيانه المشرق، وأسلوبه الفريد الذي لا يشابهه فيه أي أسلوب آخر، لا من نثر ولا من شعر، حيث يقف الناظر باندهاش أمام اسلوب القرآن في بيان ذلك .

وإن أهم ما في سيرته ﷺ وأوثقها، وأكثرها صحة هو ما اقتبس من القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وذلك من خلال سرد بعض المشاهد من حياته ﷺ وسيرته قبل البعثة، فذكر يتمه وفقره وتحنثه ﷺ ، كما يذكر لنا شؤونه بعد النبوة: من نزول الوحي الإلهي عليه، وتبليغه إياه، والعروج به ﷺ وموقف الأعداء من دعوته ﷺ وهجرته وغزواته، كما ذكر أخلاقه الكريمة ﷺ. وتناولت آيات كثيرة من القرآن الكريم

ما يرتبط بجانب ما من سيرته ﷺ أو شأن من شؤونه، التعليق على الوقائع والاحداث التي كانت تعرض للرسول الله ﷺ وموقفه منها.

وبين القرآن الكريم كذلك جزءاً مهماً من سيرته ﷺ من خلال ما ورد في القرآن من آيات العتاب لأعمال النبي ﷺ وتصرفه في بعض الوقائع والاحداث التي تصدر منه ﷺ أحياناً اجتهاداً.

كل ذلك جاء مذكوراً في القرآن ببيان واضح وأسلوب متين رائق، ومن ذلك نعلم أنه لم تطرق آذن التاريخ سيرة رجل بأحسن ولا أصح ولا أوثق من سيرة محمد ﷺ.

والقرآن الكريم بأسلوب عرضه ذلك لحياة النبي ﷺ وسيرته يجلي الكثير من مراحل حياته ﷺ ومختلف شؤونه وأعماله ﷺ من مختلف الجوانب بصورة إجماليه موجزة.

ومما لاشك فيه أن دراسة حياة النبي ﷺ وسيرته في القرآن الكريم، من خلال ما ورد من آيات القرآن الكريم المتعلقة بذلك، له بالغ الاثر وفي غاية الأهمية، ذلك لأن حياة الرسول ﷺ وسيرته وأفعاله وأقواله، وأخلاقه، كانت تجسيداً وتجلياً واقعياً، وبياناً عملياً لتعاليم القرآن وتوجيهاته وكيفية التعامل معها، وتنزيلها على واقع الناس، لتكون وسيلة ايضاح ومصدر تشريعي واستلهام لمسيرة الحياة وتصويب لها.

كما أن السيرة النبوية تضع للمسلمين النموذج العملي والبرنامج الواقعي لما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم وأفعالهم وأقوالهم وعلاقاتهم بربهم، ثم بأهلهم وعشيرتهم، وإخوانهم، وأمتهم، والناس جميعاً.

كذاك من خلال دراسة سيرة النبي ﷺ وحياته وتحليلها وفقهها يتمكن المسلم من تبتع مراحل الدعوة الاسلامية وتطورها والاستعانة بذلك على تفسير كتاب الله تعالى، واستنباط الدروس والعبر والأحكام وربطها بالواقع والسمو به، حتى يتم الاستفادة من هذه الحكم والأحكام.

ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز وبيان أسلوب القرآن الكريم في عرض سيرة النبي ﷺ وحياته، من خلال ما ورد في القرآن من الآيات تخص الموضوع، ودراستها دراسة موضوعية للدلالة على بعض أحداث سيرة الرسول ﷺ وحياته في القرآن، وأخذ الدروس، والعبر التربوية منها، حتى يستطيع المسلم الوقوف على بعض معاني السيرة ومدلولاتها الانسانية في القرآن الكريم وتطبيقها على واقع الحياة للاستفادة منها.

وتناولي لهذا الموضوع (سيرة النبي ﷺ في القرآن الكريم) هو محاولة متواضعة للتأكيد العلمي والعملي على أهمية السيرة النبوية ومكانتها، بوصفها

قراءة تطبيقية للقرآن الكريم والسنة النبوية موجهة لبناء الشخصية الاسلامية المعاصرة في كل عصر، ولكونها مصدر هدي في الحياة المعاصرة.

أهمية البحث:

اضافة إلى ما سبق فإن أهمية هذا البحث تتمثل في الجوانب الآتية:

١. الاهتمام بالقرآن الكريم إذ هو أجلَّ ما في هذا الكون.
٢. أن الدراسات المنهجية للوقائع والأحداث التي تناولها القرآن الكريم في سيرة النبي ﷺ تعتبر من أهم الدراسات القرآنية التي يجب الاهتمام والعناية بها.

أهداف البحث:

يمكن تلخيص أهم أهداف البحث فيما يأتي:

بيان اسلوب القرآن في عرض سيرة النبي ﷺ وحياته، من خلال الآيات القرآنية التي تناولت سيرة النبي ﷺ لمختلف مراحل حياته وشؤونه من مختلف الجوانب.

الوقوف على التطبيق العملي لأحكام الاسلام في عقيدته وشريعته وأخلاقه، التي تضمنتها الآيات القرآنية، في مجالات الحياة المختلفة من خلال دراسة سيرة الرسول ﷺ في القرآن الكريم.

التعرف على الأحكام والمعاني والدلات من خلال الآيات القرآنية التي تناولت حياة النبي ﷺ وسيرته الطاهرة.

منهج البحث:

أولا: المنهج العام: المنهج الوصفي الاستنباطي.

ثانيا: المنهج الخاص:

أما المنهج الخاص المتبع في البحث يتضح من خلال الآتي:

١. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية.

٢. تخريج نصوص الأحاديث من مصادرها، بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما.

أما إذا كان في غيرهما عزوته إلى بعض مصادره، مع ذكر الحكم عليه، من خلال أقوال العلماء المتقدمين المعاصرين.

٣. شرح معاني الألفاظ الغريبة بحاشية البحث.

٤. توثيق المعلومات الواردة في البحث، بذكر بيانات المصدر كاملة الأول مرة.

ابتداء باسم المصدر، واسم مؤلفه، ودار النشر، والبلد، ورقم الطبعة وتاريخها، والجزء والصفحة.

٥. ذكرت في نهاية البحث خاتمة، تضمنت أهم النتائج والتوصيات وضمنت البحث بفهرس للمصادر والمراجع مرتبة على أحرف الهجاء، وآخر للموضوعات.

خطة البحث:

اقتضت خطة البحث تقسيمه الى مقدمة وثلاثة مباحث تضمن كل منها عدداً من المطالب، وخاتمة.

– المقدمة: تضمنت فكرة الموضوع وأهميته وهدفه وخطته والمنهج المتبع في بحثه.

– المبحث الأول: التعريف بالقرآن والسيرة وتضمن مطلبان:

– المطلب الأول: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.

– المطلب الثاني: تعريف السيرة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: اسلوب القرآن في عرض سيرة النبي ﷺ، وتضمن مطلبان:

– المطلب الأول: سرد بعض المشاهد من حياته ﷺ وسيرته قبل البعثة وبعدها وتضمن خمسة عشر فرعاً.

– الفرع الأول: حديث القرآن عن يتمه وفقره ﷺ

– الفرع الثاني: حديث القرآن عن بدء الوحي وكيفيته.

– الفرع الثالث: الفصل بين الفكرة القرآنية والفكرة المحمدية.

– الفرع الرابع: وصف القرآن المراحل التي مرت بها الدعوة الاسلامية.

– الفرع الخامس: الحديث عن عداوة الكافرين والخصوم للرسول ﷺ.

– الفرع السادس: الحديث عن استماع نفر من الجن لقراءة الرسول ﷺ.

– الفرع السابع: الحديث عن الاسراء والمعراج.

– الفرع الثامن: الحديث عن الهجرة النبوية.

– الفرع التاسع: الحديث عن بعض الغزوات.

– الفرع العاشر: الحديث عن المنافقين وموقفهم من دعوة الرسول ﷺ.

– الفرع الحادي عشر: الحديث عن تصوير علاقة المعايشة مع اليهود والنصارى.

– الفرع الثاني عشر: الحديث عن قضائه ﷺ.

– الفرع الثالث عشر: الحديث عن الحياة الخاصة والعائلية للرسول الله ﷺ.

– الفرع الرابع عشر: الحديث عن الحالة النفسية والخلجات التي كان يمر بها ﷺ في بعض مراحل الحياة.
– الفرع الخامس عشر: الحديث عن أخلاق النبي ﷺ الكريمة.
المطلب الثاني: التعليق على الوقائع والأحداث التي تعرض للنبي ﷺ وموقفه منها وتضمن ثلاثة فروع:

– الفرع الأول: حادثة الإفك.
– الفرع الثاني: حادثه الظهار.
– الفرع الثالث: الرد على الأسئلة.
المبحث الثالث: آيات العتاب لأعمال النبي ﷺ وتصرفاته وتضمن ستة مطالب:

– المطلب الأول: العتاب في أسرى بدر.
– المطلب الثاني العتاب في الإذن للمنافقين.
– المطلب الثالث: العتاب في إخفاء رغبته ﷺ الزواج بزينب وعلمه بأنها ستكون زوجته.
– المطلب الرابع: العتاب في تحريمه ﷺ بعض أزواجه.
– المطلب السادس: العتاب في طرد المؤمنين الضعفاء عن مجلسه ﷺ .
– الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج والتوصيات.
– فهرس المصادر والمراجع.

– المبحث الأول
التعريف بالقرآن والسيرة

– المطلب الأول
تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً

– الفرع الأول: تعريف القرآن في اللغة:

القرآن: مصدر للفعل قرأ، مرادف للقراءة، بمعنى: تلا، وفيه معنى الجمع والضم، قال ابن فارس: (القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح، يدل على جمع واجتماع، ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك)[1].
(والقرآن أصله من "القرء" بمعنى الجمع والضم، يقال: قرأت الماء في الحوض، بمعنى: جمعته فيه، يقال: ما قرأت الناقة جنيناً، أي لم تضم رحمها

[1] معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة (قرأ)، ٧٨/٥-٧٩.

على ولد، وسمي القرآن قرآناً، لأنه يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض)[١].

قال أبو عبيده ρ: (... وإنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور ويضمها، وتفسير ذلك في آية القرآن، قال تعالى: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمعَهُۥ وَقُرءَانَهُۥ ١٧)**[٢]، مجازه: تأليف بعضه إلى بعض ...) ثم قال: وفي آية أخرى: **(فَإِذَا قَرَأتَ ٱلقُرءَانَ ٩٨)**[٣]، مجازه: إذا تلوت بعضه في إثر بعض حتى يجتمع وينضم بعضه إلى بعض، ومعناه: يصير إلى معنى التأليف والجمع ...)[٤].

(وقيل: القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، يقال: قرأ الكتاب قراءة وقرآناً، وسمي كذلك قرآناً، لأنه يجمع السور فيضمها، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمعَهُۥ وَقُرءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأنَٰهُ فَٱتَّبِع قُرءَانَهُۥ ١٨)**[٥] أي جمعه وقراءته)[٦].

وقيل: (القرآن على وزن فُعلان، كُغفران وشكران ... وهو مهموز، كما في قراءة جمهور القراء، ويقرأ بالتخفيف (قرآن) كما في قراءة ابن كثير)[٧].

وقال الإمام الشافعي ρ: (لفظ القرآن ليس مشتقاً، ولا مهموزاً، وأنه قد أرتجل وجعل علماً للكتاب المنزل، كما أطلق اسم التوراة على كتاب موسى، والإنجيل على كتاب عيسى صلى الله عليهما وسلم)[٨].

قال القرطبي ρ: (والصحيح الاشتقاق في الجميع)[٩]، أي في القرآن والتوراة والإنجيل.

وفي ضوء ما سبق يتضح أن القرآن لغة فيه أربعة أقوال:

---

[١] لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، ببيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ، مادة (قرأ)، ١٢٨/١.

[٢] القيامة: ١٧.

[٣] النحل: ٩٨.

[٤] مجاز القرآن: أبي عبيدة معمر بن المثنى اليتمي (ت٢٠٩هـ)، تحقيق: د.محمد فؤاد سزكين، دار الفكر، ط:٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ١/١-٣.

[٥] القيامة:١٧-١٨.

[٦] انظر: لسان العرب، ١٢٩/١، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٩٩٠م، مادة (قرأ)، ٧٤/٢، تاج العروس من جواهر القاموس: أبي الفيض محمد بن محمد بن مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٣٦٤/١.

[٧] جمع القرآن في عهد الخلفاء: الدكتور عبد القيوم عبد الغفور السندي، ص٨، مباحث في علوم القرآن: مناع بن خليل القطان (ت١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط:٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص١٥-١٦.

[٨] مناقب الشافعي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧١م، ٢٧٦/١.

[٩] الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:٢، ١٣٤٨هـ - ١٩٦٤م، ٢٩٨/٢.

١. أنه وضع علماً على كلام الله المنزل على محمد ﷺ، وغير مشتق.
٢. أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذ اضممته إليه وجمعته.
٣. أنه وصف على وزن فعلان، وهو مهموز مشتق من القرء بمعنى الجمع.
٤. أنه مصدر مرادف للقراءة سمي به المقروء من تسمية المفعول بالمصدر.

والراجح من هذه الأقوال وأقواها: أن القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، يدل على ذلك الآية السابقة: **(إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨)**[١]، أي: قراءته، وقوله تعالى: **(وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨)**[٢]، أي: قراءة الفجر[٣].

الفرع الثاني: تعريف القرآن في الاصطلاح:

لقد تطرق العلماء إلى تعريف القرآن اصطلاحاً بتعريفات عديدة، منها المطول، ومنها المتوسط، ومنها المختصر، ومن ذلك:

- ذكر الإمام السيوطي في الإتقان: (أن القرآن كلام الله المنزل، ثم أخذ في تفصيل معنى الكلام وكيفية التنزيل، وعقد بعد ذلك فصلاً في تواتر نقل القرآن، وذكر أن الأمة متعبدة بفهم معانيه، وإقامة حدوده، وحروفه على الصفة المتلقاة، ثم ذكر أن القرآن معجز، وأخذ في تفصيل القدر المعجز منه)[٤].

وعليه فيمكن تلخيص كلامه على مقتضى الحد الجامع المانع، فيقال: هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل، المتواتر، المعجز، المتعبد بتلاوته، وتطبيق أحكامه.

- وعرفه تاج الدين السبكي بقوله: (المعنيُّ به هنا: اللفظ المنزل على محمد ﷺ، للإعجاز بسورة منه، المتعبد بتلاوته)[٥].

- وقال الإمام الشوكاني: (القرآن كلام الله تعالى، المنزل على نبينا محمد ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه)[٦].

---

(١) القيامة:١٧-١٨.
(٢) الإسراء:٧٨.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ٢٩٨/٢، مباحث في علوم القرآن: د.صبحي الصالح، دار دار العلم للملايين، بيروت، ط:١٠، ١٩٧٧م، ص١٨، مباحث علوم القرآن: مناع القطان، ص١٦.
(٤) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين بن عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٦م، ١٥٨/١-١٧٠.
(٥) جمع الجوامع: تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت٧٧١هـ)، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م، ص٢١.
(٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: أحمد عز وعناية، دار الكتاب العربي، ط:١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ٨٦/١.

وهذا التعريف مزيد فيه على ما سبق قوله: (المكتوب في المصاحف) وهذا قيد غير لازم، ولا يشترط في إثبات القرآن أن يكون في المصاحف، لأن هذا القيد لا يشمل ما كان محفوظاً في الصدور، والكل يسمى قرآناً سواء كان مكتوباً أو محفوظاً.

وقيل القرآن: (هو الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته)[١].

- وقيل القرآن هو: (كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل (عليه السلام)، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منها)[٢].

- وعُرف القرآن في العقيدة الطحاوية بأنه: (كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق بكلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر)[٣].

وهذا التعريف فيه زيادة تفصيل في جانب، وخلا من قيود مهمة في جانب أخر فمثلاً قوله: (بالحقيقة)، إما أن تكون صفة كاشفة، أو تأكيداً معنوياً، وعلى كلا التقديرين دخولها في التعريف معيب، كما يلاحظ أن هذا التعريف خلا من وصف القرآن بالمعجز، فهل الإعجاز صفة مختصة بكلام الله؟ وهل في الحديث القدسي أو النبوي شيء من الإعجاز فتدخل في التعريف؟ على كلا الأمرين سيخرج غير القرآن من التعريف بقولهم: (المتعبد بتلاوته) أي: بإقامة حروفه، وألفاظه، وبأنه لا يجزئ في الصلاة غيره.

- وعُرف القرآن كذلك بأنه: (كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ للبيان، والإعجاز، المجموع بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر)[٤].
بالتواتر)[٤].

والخلاصة أن كل التعريفات السابقة للقرآن اصطلاحاً تدور في الجملة حول معنى واحد، غير أن في بعضها زيادة قيود واسهاب، والأصل في الحدود أن تكون جامعة مانعة، وعليه فإن التعريف المختار هو: أن القرآن كلام الله

---

[١] مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ)، تخريج: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٦هـ، ١/١٥، مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص١٧.

[٢] نفحات من علوم القرآن: محمد أحمد معيد، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط:١، ١٩٨٦م، ص١٣.

[٣] شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي ابن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت٧٩٢هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٧٨.

[٤] اللآلئ الحسان في علوم القرآن: د.موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، د.ط.ت، ص٩.

تعالى المنزل على محمد ﷺ، للبيان، والتحدي، والإعجاز، المتعبد بتلاوته وبأحكامه، المنقول بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، المختم بسورة الناس.

شرح محترزات وقيود التعريف:

قوله: (كلام الله): فـ(الكلام) جنس في التعريف يشمل كل كلام، وإضافته إلى (الله) يخرج كل كلام سوى كلام الله، من الأنس والجن والملائكة.

والكلام صفة من صفات الله أثبتها سبحانه لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ (فقد كلم الله سبحانه عبده ورسوله موسى بلا واسطة بل أسمعه كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد، قال تعالى: **(تِلكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَىٰ بَعضٍۘ مِّنهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ٢٥٣)** من كلم الله)[1]، وقال تعالى: **(وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكلِيمٗا ١٦٤)**[2] فأكده بالمصدر مبالغة في البيان والتوضيح [3].

- وقولة: (المنزل على محمد ﷺ): خرج بقوله المنزل: كلام الله الذي استأثر به نفسه سبحانه: قال تعالى: **(قُل لَّو كَانَ ٱلبَحرُ مِدَادا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلبَحرُ قَبلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَو جِئنَا بِمِثلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩)**[4].

- وخرج بقوله: (على محمد ﷺ): الكتب السماوية السابقة لنزول القرآن قال تعالى: **(نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلمُنذِرِينَ ١٩٤)**[5].

- وقوله: (لفظاً)، قيد خرج به الحديث القدسي والنبوي إذ لم ينزل كل واحد منهما لفظاً وإنما نزل الحديث النبوي معنى على الصحيح، وفي الحديث القدسي خلاف مشهور.

- وقوله: (للبيان): أي للبيان التشريعي وغيره، وهو من مهام محمد ﷺ قال تعالى: **(وَأَنزَلنَآ إِلَيكَ ٱلذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ ٤٤)**[6].

- وقوله: (والتحدي): إن القرآن قد تحدى الإنس والجن جميعاً، مكيهم ومدنيهم، وعربيهم، وعجميهم، أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة من سور القرآن فعجزوا أجمعين [7]، قال تعالى: **(قُل لَّئِنِ ٱجتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأتُواْ بِمِثلِ هَٰذَا ٱلقُرءَانِ لَا يَأتُونَ بِمِثلِهِۦ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٖ ظَهِيرا٨٨)**[8]، وقال

---

(١) البقرة:٢٥٣.
(٢) النساء:١٦٤.
(٣) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط:١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٢٤٧/١، مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص١٧
(٤) الكهف:١٠٩.
(٥) الشعراء:١٩٣-١٩٤.
(٦) النحل:٤٤.
(٧) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢١٦/١-٢١٨.
(٨) الإسراء:٨٨.

تعالى: **(وَإِن كُنتُم فِي رَيبٍ مِّمَّا نَزَّلنَا عَلَىٰ عَبدِنَا فَأتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثلِهِۦ وَٱدعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ ٢٣)**[١].

- وقوله: (والإعجاز): فالقرآن كتاب معجز بكليته وجزئيته بكل وجوه الإعجاز، وهذا الإعجاز للبشرية كلها هو مقصد من مقاصد أنزال القرآن، إثباتاً لرسالة ونبوة محمد ﷺ، كما أن إعجازه (في فصاحته، وبلاغته، وأنباء الغيب، وأخبار الأمم السابقة، وما حواه القرآن من إعجاز علمي، وتشريعي محكم دقيق صالح لكل زمان ومكان)[٢].

- وقوله: (المتعبد بتلاوته): المأمور بقراءته في الصلاة، وغيرها، ومتعبد بإقامة ألفاظه، وهذا قيد خرجت به الأحاديث القدسية، وهي المسندة إلى الله تعالى إن قلنا أنها منزلة من عند الله بألفاظها، والأحاديث النبوية، وإن كانت مما نؤجر على قراءتها، واستخراج الأحكام الشرعية منها، ولكن لا يصح القراءة بها في الصلاة، ولا متعبدون بإقامة ألفاظها على الصحيح.

- وقوله: (المنقول بالتواتر): (المتواتر: هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه)[٣]، أي: من النبي ﷺ إلى أصحابه إلى التابعين، وهكذا حتى وصل إلينا دون نقص أو تحريف مصداقاً لقوله تعالى: **(إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا ٱلذِّكرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩)**[٤].

وهذا قيد خرجت به القراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد، والأحاديث القدسية، وهي المسندة إلى الله عز وجل، إن قلنا إنها منزلة من عند الله بألفاظها[٥].

المطلب الثاني
تعريف السيرة النبوية لغة واصطلاحاً
الفرع الأولً: تعريف السيرة في اللغة:

السيرة لغة: تطلق على الطريقة، سواء كانت حسنة أو سيئة، والجمع: سير [٦]، ومن ذلك قوله تعالى: **(سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلأُولَىٰ ٢١)**[٧].

---

[١] البقرة:٢٣.
[٢] الواضح في علوم القرآن: د.مصطفى ديب البغا، ومحي الدين مستو، دار الكلم الطيب، ودار العلوم العلوم الإنسانية، دمشق، ط:١، ١٤١٧هـ، ص١٦٧.
[٣] الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، ٢٦٤/١.
[٤] الحجر:٩.
[٥] انظر: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص١٧، مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٥/١-١٦.
[٦] انظر: مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (د.ت)، مادة (سير)، ص٣٢٥، لسان العرب، مادة (سير)، ٢٢٥/١٣، القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط:٢، ١٣١٧هـ، مادة (سير)، ٦٣٢/٢.
[٧] طه:٢١.

قال الفراء: (طريقتها، يقول: نردها عصى كما كانت)[١].

وقد استعملها الإسلام في معناها اللغوي، ثم خصصها بطريقة النبي ﷺ.

ومن ناحية أخرى: فإن هذه الكلمة حينما تطلق يراد بها: سيرة النبي ﷺ [٢].

ويبدو أن لفظة: (السيرة) كانت معروفة قبل أن يستخدمها ابن هشام بمعنى: (سيرة النبيﷺ) عندما جعلها علماً على مختصره لكتاب ابن إسحاق [٣].

الفرع الثاني: تعريف السيرة في الاصطلاح:

السيرة في الاصطلاح: عبارة عن العلم الذي يبحث في أحوال الرسول ﷺ، وأقواله وأفعاله وأخلاقه، من أخبار وسير، باعتباره مرادفاً للسنة النبوية [٤].

كما أن السيرة النبوية تعني: مجموعة الأخبار التي تروى عن حياة رسول الله ﷺ.

وتشمل: نسبه وحمله في بطن أمه، وولادته، والظروف التي رافقت ذلك، وكفالته، وصباه، وشبابه، وبعثته ﷺ، ونزول الوحي عليه، وبداية دعوته الناس، ومراحل هذه الدعوة في مكة المكرمة، وبعد هجرته إلى المدينة المنورة، وبناء الدولة الإسلامية في المدينة، وجهاد الأعداء في الداخل والخارج، وإرسال السفراء والبعوث والسرايا، وقيادته ﷺ أهم المعارك في جهاد أعدائه، وهي الغزوات، ونشر الإسلام في الجزيرة العربية وخارجها، ومرضه وموته ولحاقه بالرفيق الأعلى، وأثر ذلك على صحابة رسول الله ﷺ [٥].

- وعرف السيرة المباركفوري بأنها: (عبارة عن الرسالة التي حملها الرسول ﷺ إلى المجتمع البشري، قولاً وفعلاً وتوجيهاً وسلوكاً، وقلب بها موازين الحياة، فبدل مكان السيئة الحسنة، وأخرج بها الناس من الظلمات إلى

---

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير: أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٤٠، ١٤٠٧هـ، ٢٨٠/٥، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، عالم المعرفة، د.ط.ت، ٣٦٢/٣.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: أبي محمد عبد الملك بن هشام (ت٢١٨هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، ٣/١ المقدمة، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار: عبد الرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ)، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ط:٢، ١٩٨٢م، ٤/١المقدمة.

(٣) انظر: حدائق الأنوار، ٣/١ المقدمة.

(٤) انظر: إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ : حسن بن محمد المشاط المالكي (ت١٣٩٩هـ)، دار المنهاج، جدة، ط:٢، ١٤٢٦هـ، ص٨٩.

(٥) انظر: السيرة النبوية (دراسة تحليلية): محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط:١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص٤٩.

النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله، حتى عدل خط التأريخ، وغير مجرى الحياة في العالم الإنساني)[١].

- ويمكننا تعريف السيرة: بأنها الحياة النبوية العامة والخاصة بأبعادها الدينية والأخلاقية والتربوية والأسرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية العسكرية، ومن مقدمات وإرهاصات الميلاد إلى الوفاة، ثم أصبحت علماً على الكتب المصنفة تحت هذا المسمى.

إن الناظر في هذا التعريف يلحظ أن السيرة النبوية تمثل في حقيقتها كل جزئية صغيرة أو كبيرة، خاصة أو عامة في حياته ﷺ فعباداته وجهاده وزواجه ومعاملاته وأقواله وأفعاله وأخلاقهﷺ كلها جزء من السيرة [٢].

لكن نلاحظ أن العلماء اقتصروا في تصنيف كتب السيرة على جوانب رئيسية من حياتهﷺ، فتحدثوا عن الميلاد، وأهم المحطات ما بين الميلاد والبعثة، ثم تحدثوا عن البعثة وأهم المواقف التي مر بها ﷺ بدءاً من البعثة إلى الهجرة، ثم أولوا الهجرة اهتماماً خاصاً، ثم بعد ذلك تحدثوا عن حياته في المدينة ما بين الهجرة والوفاة، فيركزون على غزواته مع أنها لا تشكل إلا جزءاً يسيراً جداً من حياته ﷺ.

ولعل السبب في ذلك كله أن تفاصيل سيرته ﷺ نجدها في كتب السنة المطهرة كاملة، فاقتصروا على الجوانب المذكورة.

ويستفاد مما سبق أن لفظة (السيرة) إذا جيء بها مفردة معرفة، قصد بها بذلك تخصيصاً: (السيرة النبوية) أي تأريخ حياة الرسول ﷺ من مولده إلى وفاته، مع ذكر آبائه وأهل بيته وصحابته، فضلاً عن ذكر خصاله ﷺ وأحواله وعاداته، ثم الأحداث المرتبطة بالدعوة، كالوحي والهجرات، والغزوات والوفود [٣].

ومن نافلة القول: أن أقوال النبي ﷺ وأعماله كان لها أهمية كبرى إبان حياته وأهمية أكبر بعد موته، وقد أوجبت هذه الأهمية العناية الشاملة بتدوين تفاصيل حياته وبجمع الأحاديث والأخبار عنه، ولم يكن الدافع لهذه العناية والاهتمام، التقوى وحدها فحسب، ولكن حاجة المجتمع الإسلامي إلى إرساء وتثبيت العقائد الدينية والأحكام الشرعية هي الحافز الأساسي لهما [٤].

---

[١] الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، دار الغد الجديد، القاهرة، ط:١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص١٥.

[٢] انظر: السيرة النبوية دراسة تحليلية، ص٤٩-٥٠.

[٣] انظر: القاموس الإسلامي: أحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية، ٢٩٥/٣.

[٤] انظر: المغازي للواقدي: محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: د.مارسدن جونسن، مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٦٦م، مقدمة التحقيق، ١٩/١-٢٠.

وقد جعل المسلمون لرواية الأخبار والسير قواعد محكمة يرجعون إليها، وأصولاً متقنة يتمسكون بها [1].

المبحث الثاني

أسلوب القرآن في عرض السيرة النبوية

من المعلوم أن القرآن الكريم هو المعتمد الأول لمعرفة الملامح العامة لحياة النبي ﷺ، وفي الاطلاع على المراحل الإجمالية لسيرته ﷺ حيث يقف الناظر باندهاش أمام أسلوب القرآن في بيان ذلك.

وإن أهم ما في سيرته، وأوثقها وأكثرها صحة هو ما اقتبس من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو الذي لم يشك في صحته العدو اللدود فضلاً عن الحبيب الودود.

والقرآن الكريم يقص علينا جميع نواحي السيرة النبوية، وطرفاً من حياته ﷺ قبل النبوة، فيذكر لنا نشأته ويتمه وفقره، وتحنثه إياه، والعروج به، وموقف الأعداء، وهجرته، وغزواته.

وفي القرآن الكريم ذكر أخلاقه ﷺ، كل ذلك جاء مذكوراً في القرآن ببيان واضح وأسلوب متين رائق.

ومن ذلك نعلم أنه لم تطرق أذن التأريخ سيرة رجل بأحسن ولا أصح ولا أوثق من سيرة محمد ﷺ [2].

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن القرآن الكريم قد عرض سيرة الرسول ﷺ بأحد أسلوبين:

- **الأول:** سرد بعض المشاهد من حياته وسيرته قبل البعثة وبعدها.
- **الثاني:** التعليق على الوقائع والأحداث التي تعرض للنبي ﷺ وموقفة منها.

- المطلب الأول: سرد بعض المشاهد من حياته وسيرته قبل البعثة وبعدها:

إن القرآن الكريم قد تناول جوانباً كثيرة من حياته وسيرته ﷺ سواء كان ذلك قبل النبوة أو بعدها، وذلك على النحو الآتي.

---

[1] انظر: سيرة النبي ﷺ : شبيلي النعماني، وتكملته للسيد سليمان الندوي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص٢٩.

[2] انظر: الرسالة المحمدية: السيد سليمان الندوي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٠٤هـ، ص١٩، فقه السيرة: د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٢٢.

الفرع الأول: حديث القرآن عن يتمه وفقره ﷺ:

فقد تحدث القرآن الكريم عن يتم رسول الله ﷺ وفقره ونشأته في بعض الآيات كما في قوله تعالى: **(أَلَم يَجِدكَ يَتِيمًا فَأَوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغنَىٰ ٨)**[1].

الفرع الثاني: حديث القرآن عن بدء الوحي وكيفيته:

أشار القرآن إلى كيفية بدء الوحي ونزوله على رسول الله ﷺ في غار حراء فقال تعالى: **(ٱقرَأ بِٱسمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ مِن عَلَقٍ ٢ ٱقرَأ وَرَبُّكَ ٱلأَكرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلقَلَمِ٤ عَلَّمَ ٱلإِنسَٰنَ مَا لَم يَعلَم ٥)**[2]، فلقد كان النبي ﷺ يخلو –غالباً- بغار (حراء) فيمكث فيها ليالي متواليات، وكان يتزود لذلك، وكان يتعبد ويدعو على الطريقة الإبراهيمية الخيفية والفطرة السليمة المنيبة إلى الله تعالى [3].

وكان في إحدى المرات بينما كان يتحنث في غار حراء، جاءه اليوم الموعود لبعثته، وكان ذلك في رمضان [4].

جاء في حديث عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (... فجاءه الملك بحراء، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ؟ فقال الرسول ﷺ: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ؟ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ؟ فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: **(ٱقرَأ بِٱسمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ مِن عَلَقٍ ٢ ٱقرَأ وَرَبُّكَ ٱلأَكرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلقَلَمِ٤ عَلَّمَ ٱلإِنسَٰنَ مَا لَم يَعلَم٥)**[5].

---

[1] الضحى:٦-٩.

[2] العلق:١-٥.

[3] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٥٠/١-٢٥٢، فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن باز، وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ٢١/١، السيرة النبوية: السيد أبي الحسن علي الحسين الندوي، عنى بطبعه: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، طبع على نفقة حاكم قطر، خليفة بن محمد آل ثاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص١٣١.

[4] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٥٦/١، تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، مكتبة دار التراث، القاهرة، ٢١٦/١، السيرة النبوية للندوي، ص١٣١، السيرة النبوية الصحيحة، د.أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط:٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ١٢٤/١.

[5] العلق:١-٥، والحديث متفق عليه، انظر: صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط:٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ٧/١، رقم (٣)، صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط:١، ١٣٥٧هـ - ١٩٥٥م، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١٣٩/١، رقم (١٦٠).

وكان ذلك أول يوم من أيام النبوة، وأول وحي من القرآن [١].

فقد أوضح حديث عائشة: (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ)، وأن (اقرأ) هي أول ما نزل من القرآن، وأن الرسول ﷺ فوجئ بالوحي دون أن يتوقعه فراغه الموقف ...)[٢].

وذلك حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مرده إلى حديث النفس المجرد، وإنما هي استقبال وتلقي لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات، وضم الملك إياه ثم إرساله ثلاث مرات، قائلاً في كل مرة: (اقرأ)، يعتبر تأكيداً لهذا التلقي الخارجي، ومبالغة في نفي ما قد يتصور من الأمر، لا يعدو كونه خيالاً داخلياً [٣].

وفضلاً عن ذلك فإن القرآن الكريم يشير إلى نسبة الوحي إلى الله عز وجل في قوله تعالى: **(وَكَذَٰلِكَ أَوحَينَآ إِلَيكَ رُوحا مِّن أَمرِنَا مَا كُنتَ تَدرِي مَا ٱلكِتَٰبُ وَلَا ٱلإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلنَٰهُ نُورا نَّهدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِن عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰط مُّستَقِيم ٥٢)**[٤].

حيث لم يكن النبي ﷺ يعرف الكتاب ولا الإيمان قبل أن يوحى إليه القرآن الذي جعله الله تعالى نوراً يهدي به عباده إلى الصراط المستقيم.

فقوله: (ما كنت) أي قبل غار حراء، والنبي ﷺ في تلك الفترة لم يكن لديه سوى معلوماته الشخصية، وهي معلومات لا صلة لها بالوحي القرآني، إذا أعطيت الآية المذكورة كل معناها التأريخي.

والآية تثبت عرضاً، ولكن بطريقة صريحة مصدر الوحي القرآني بعد حراء، وهو على كل حال قبل (إيحاء الروح) المأخوذ من قوله: (أوحينا إليك روحاً)، وهذه النقطة ثابتة تاريخيا.

الفرع الثالث: الفصل بين الفكرة القرآنية والفكرة المحمدية:

وفضلاً عن ذلك فإن القرآن قد دأب على تذكيره ﷺ وتأكيد هذا الفصل في آيات كثيرة كما في هذه الآية، وهي تؤدي ما أدته الآية الأولى. وهي قوله تعالى: **(وَمَا كُنتَ تَتلُواْ مِن قَبلِهِۦ مِن كِتَٰب وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذا لَّارتَابَ ٱلمُبطِلُونَ**

---

[١] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٥٠/١، تفسير ابن كثير، ٥٢٧/٤، السيرة النبوية الصحيحة، ١٢٤/١، ٥٩٦/٢، السيرة النبوية للندوي، ص١٣١.

[٢] انظر: السيرة النبوية الصحيحة، ٢٢٦/١، تأريخ التشريع الإسلامي: مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:٥، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص٣٢-٣٣.

[٣] انظر: فقه السيرة للبوطي، ص٨٥.

[٤] الشورى:٥٢.

٤٨) [١]، أما من الوجهة النفسية المتصلة بشعور النبي ﷺ، فإن هذه الآية تعزز ما قبلها في فصل السنة المحمدية عن الوحي القرآني[٢].

وفي آيات أخرى يبدو القرآن، وكأنما يشير إلى تحديد مقصود للوحي في نقطة معينة بالذات، كأنما ليعلق ضمير النبي ﷺ واهتمامه بأشياء لم تكن بعد قد أوحيت، أو أن تنزل عليه قط، كما في قوله تعالى: **(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُص عَلَيۡكَۗ ٧٨)**[٣].

ففي هذه الآية يمضي الوحي القرآني ليس أبعد من الفكرة المحمدية فحسب، ولكن أبعد مما قد أوحي فعلاً [٤].

وأحياناً يرد في القرآن الكريم ما يفصل بين الفكرة المحمدية والفكرة القرآنية، بمناسبة حادث يقع في الحياة العادية، مثل حديث القرآن عن المنافقين، في قوله تعالى: **(وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡ ٣٠)**[٥].

والمعنى: لأريناك أشخاصهم فعرفتهم أو لذكرنا لك أوصافهم فعرفتهم، ثم يحتمل أن الله شاء ذلك، وأراهم للرسول ﷺ فعن أنس ﷺ: (ما خفي على النبي ﷺ بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم)، ذكر البغوي والثعلبي بدون سند [٦].

وأخيراً قد يكون الفصل ظاهر في التعارض بين الفكرة المحمدية والفكرة القرآنية، كما في قوله تعالى: **(وَلَا تَعۡجَلۡ بِالۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ ١١٤)**[٧]، أي يتم إليك وحيه، فقد كان النبي ﷺ يبادر جبريل، فيقرأ قبل أن أن يفرغ جبريل من الوحي حرصاً على ما كان ينزل عليه منه، فنهاه الله عن ذلك [٨]، وهو نهي رعاية وعناية من الله تعالى له ﷻ.

فلقد كان النبي ﷺ في مستهل دعوته يجهد ذاكرته، وهو يعاني حالة التلقي، لكي يثبت الآيات كما نزلت، وهذه حالة غريزية تلقائية تحدث لأي إنسان ينصت لآخر، وهو يريد أن يحفظ كلامه، فهو يكرره في نفسه، فالآية المذكورة

---

[١] العنكبوت:٤٨.
[٢] انظر: الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، الاتحاد العالمي الإسلامي للمنظمات العلمانية، ط:٣، ١٤٠٣هـ، ص٢٠٧.
[٣] غافر:٧٨.
[٤] انظر: الظاهرة القرآنية، ص٢٠٨.
[٥] محمد: ٣٠.
[٦] التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م، ١٢١/٢٦، وانظر: فتح القدير، ٣٩/٥-٤٠.
[٧] طه:١١٤.
[٨] انظر: فتح القدير، ٣٨٩/٣، السيرة النبوية الصحيحة، ١٢٨/١.

تأتي بما يضاد هذا السلوك الطبيعي إذ يطلق النبي ﷺ لإرادته العنان إلى مدى معين حتى يحفظ بالتكرار ما تفجر في مجال عقله، فأثاره جرسه وأيقظه[١].

فالرسول ﷺ كان يظن أن ترديده يساعد على الحفظ عملاً بالأسباب، والله تعالى بينَّ له أن الله خالق الأسباب هو الذي سيحفظه ذلك، وهكذا نلحظ أنه لا يوجد اختلاف بين الإرادتين، فإرادة الله تعالى ورسوله ﷺ واحدة، وإنما اجتهاد من الرسول ﷺ وعمل بالأسباب بالطبيعة البشرية، والله يثبت له الحفظ وألغى الأسباب لأنه خالقها، وبهذا تؤكد خاصتي السمو والإطلاق لآيات القرآن الكريم[٢].

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ أيضاً: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُۥ وَقُرءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأنَٰهُ فَٱتَّبِع قُرءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَينَا بَيَانَهُۥ ١٩)**[٣].

وقد ثبت عن ابن عباس ﷺ: (أن رسول الله ﷺ كان يعالج من الوحي شدة، فكان مما يحرك به لسانه، فأنزل الله هذه الآية)[٤]، تخفيفاً عنه ﷺ، يعني أنه ﷺ كلما قال جبريل آية قالها معه، من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لئلا يشق عليه، فقال: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَينَا جَمعَهُۥ وَقُرءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأنَٰهُ فَٱتَّبِع قُرءَانَهُۥ)**، أي نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً [٥].

وفي هذا تعليم وتربية من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك وتنبيه لهﷺ أن لا يسترسل في بذل الجهد العنيف في الانتباه والتحفز المرهق والشد العقلي، خوفاً من تفلت آيات الوحي منه، وعدم القدرة على حفظها، فأمره سبحانه بعدم العجلة ومسابقة الملك في قراءته، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه [٦].

---

[١] انظر: الظاهرة القرآنية، ص٣٣٥.
[٢] انظر: المصدر نفسه.
[٣] القيامة:١٦-١٩.
[٤] متفق عليه، انظر: صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ)**، ١٥٣/٩، رقم (٧٥٢٤)، وكتاب بدء الوحي على رسول الله ﷺ، باب كيف كان بدء الوحي على رسول الله ﷺ، ٨/١، رقم (٥)، صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، ٣٣٠/١، رقم (١٤٧)، (١٤٨).
[٥] انظر: تفسير ابن كثير، ١٦٧/٣.
[٦] انظر: المصدر السابق، ٤٤٩/٤، السيرة النبوية الصحيحة، ٥٩٨/٢.

أضف إلى هذا أن القرآن الكريم قد تحدث عن اتباع رسول الله ﷺ للوحي، فقال تعالى: **(وَإِذَا لَم تَأتِهِم بِأَيَة قَالُواْ لَولَا ٱجتَبَيتَهَا قُل إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي٢٠٣)**[١].

وأنه بشر لا يعلم من أمر نفسه شيئاً، قال تعالى: **(قُل إِنَّمَآ أَنَا بَشَر مِّثلُكُم يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُم إِلَٰه وَٰحِد ١١٠)** [٢]، وقال تعالى: **(قُل لَّآ أَملِكُ لِنَفسِي نَفعا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَو كُنتُ أَعلَمُ ٱلغَيبَ لَاستَكثَرتُ مِنَ ٱلخَيرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِن أَنَا إِلَّا نَذِير وَبَشِير ١٨٨)** [٣]، وأنه سوف يموت فقال تعالى: **(إِنَّكَ مَيِّت وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠)** [٤].

الفرع الرابع: وصف القرآن الكريم المراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية:

كما تناولت آيات القرآن الكريم وصف المراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية، منذ أن أمر الله تعالى رسول ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين.

ومما هو معلوم أن الدعوة الإسلامية في حياته ﷺ مرت بأربع مراحل:

١. **المرحلة الأولى:** الدعوة سراً، واستمرت ثلاث سنوات.
٢. **المرحلة الثانية:** الدعوة جهراً، وباللسان فقط، واستمرت إلى الهجرة [٥].

ونزل القرآن يأمر الرسول ﷺ بأن يجهر بالدعوة، حينما نزل عليه قوله تعالى: **(فَاصدَع بِمَا تُؤمَرُ وَأَعرِض عَنِ ٱلمُشرِكِينَ ٩٤)** [٦]، وقال تعالى: **(وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ ٱلأَقرَبِينَ ٢١٤ وَٱخفِض جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ ٢١٥ فَإِن عَصَوكَ فَقُل إِنِّي بَرِيٓء مِّمَّا تَعمَلُونَ ٢١٦)** [٧]، فأمتثل ﷺ أمر ربه وأظهر الدعوة إلى الله [٨]، وحين استجاب الرسول ﷺ لأمر ربه وقام بتنفيذه، فخرج رسول الله ﷺ وصعد على جبل الصفا فجعل ينادي بأعلى صوته: (يا صباحاه) وكانت صيحة معروفة مألوفة كلما أحسَ إنسان بخطر عدو يغير على

---

[١] الأعراف:٢٠٣.
[٢] الكهف:١١٠.
[٣] الأعراف:١٨٨.
[٤] الزمر:٣٠.
[٥] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٨٠/١، الطبقات الكبرى لابن سعد: أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع (ت٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ١٩٩/١، السيرة النبوية للندوي، ص١٣٧، فقه السيرة للبوطي، ص٩٣، السيرة النبوية الصحيحة، ١٣٢/١، الرحيق المختوم، ص٧٠.
[٦] الحجر:٩٤.
[٧] الشعراء:٢١٤-٢١٦.
[٨] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٨٠/١-٢٨١، فقه السيرة للبوطي، ص٩٨، السيرة النبوية للندوي، ص١٣٧، السيرة النبوية الصحيحة، ١٤٢/١، السيرة النبوية، دراسة تحليلية، ص١٣٦.

بلد، أو على قبيلة على غفلة منها، نادى: (يا صباحاه) فلم تتأخر قريش في تلبية هذا النداء، واجتمعوا إليه، بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث إليه رسوله، فقال رسول الله ﷺ: (يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟)، فهداهم ذكاؤهم وإنصافهم إلى تصديق هذا المخبر الصادق الأمين، فقالوا: نعم).

ولما تمت هذه المرحلة الطبيعية البدائية، وتحققت شهادة المستمعين [١]، قال رسول اللهﷺ: (فإني نذير لكم بيم يدي عذاب شديد)، فقال أبو لهب عند ذلك: (تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟)، فنزل قوله تعالى: **(تَبَّت يَدَآ أَبِي لَهَب وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارا ذَاتَ لَهَب٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبل مِّن مَّسَدِ ٥)**[٢].

٣. المرحلة الثالثة: الدعوة جهراً مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية [٣].

٤. المرحلة الرابعة: الدعوة جهراً مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة وامتنع عن الدخول في الإسلام، وهذه المرحلة هي التي استقر عليها أمر الشريعة الإسلامية، وقام عليها حكم الجهاد في الإسلام [٤].

الفرع الخامس: الحديث عن عداوة الكافرين والخصوم لرسول الله ﷺ:

وتحدث القرآن الكريم عن عداوة الأعداء وخصومة الكافرين له، وعما لقى الرسول ﷺ من اتهامات باطلة وافتراءات كاذبة، أطلقها المشركون على الرسول ﷺ فاتهموه بالجنون، ورموه بالسحر، ووصفوه بالكذب والكهانة والشعر [٥].

---

[١] انظر: السيرة النبوية للندوي، ص١٣٨.

[٢] المسد/١-٥، والحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما)، انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة **(تَبَّت يَدَآ أَبِي لَهَب وَتَبَّ ١)**، ١٧٨٧/٤، رقم (٤٩٩٢)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: **(وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ)**، ١٩٣/١، رقم (٢٠٨)، سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، كتاب التفسير، باب ومن سورة الشعراء، ٣١٦/٥-٣١٧، رقم (٣١٨٤)، (٣١٨٦).

[٣] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٨٤/١، السيرة النبوية للندوي، ص١٣٧، فقه السيرة للبوطي، ص٩٣.

[٤] انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣٧/٣، السيرة النبوية لابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط:٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٤٣٩/١، خاتم النبيين ﷺ: محمد محمد أبو زهرة (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م، ٣٢٢/١-٣٢٣، فقه السيرة للبوطي، ص٩٣.

[٥] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣٠٨/١، تفسير ابن كثير، ٤٤/٣، فتح القدير، ٢٣٢/٣، السيرة النبوية، دراسة تحليلة، ص٥١.

فقال تعالى: **(وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيهِ ٱلذِّكرُ إِنَّكَ لَمَجنُونٞ ٦)**[1]، وقال تعالى: **(وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِر مِّنهُم وَقَالَ ٱلكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِر كَذَّابٌ ٤)**[2]،ولم يكف القوم أن زعموا أن رسول اللهﷺ ساحر، وإنما راحوا يزعمونه مسحوراً، أي تحكم فيه السحرة، في حين أن الساحر لا يسحر.

فقال تعالى: **(نَّحنُ أَعلَمُ بِمَا يَستَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذ يَستَمِعُونَ إِلَيكَ وَإِذ هُم نَجوَىٰٓ إِذ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسحُورًا ٤٧)**[3].

قال ابن كثير في هذه الآية: (يخبر الله تعالى نبيه محمد ﷺ بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته ﷺ سراً من قومهم بما قالوا من أنه رجل مسحور من السحر له رئى يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه)[4].

وقال تعالى: **(وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِر مَّجنُونِۭ ٣٦)**[5]، وقال تعالى: **(أَم يَقُولُونَ شَاعِر نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيبَ ٱلمَنُونِ ٣٠)**[6]، هادفين هادفين من وراء ذلك تشويه صورة الرسول ﷺ والمسلمين، وتنفير المشركين منها، حتى لا يستمعوا للحق الذي يدعون الناس إليه [7].

كما ورد في القرآن أن مشركي قريش اتهموا الرسول ﷺ بأخذ العلم من مصادر أعجمية، قال تعالى: **(وَلَقَد نَعلَمُ أَنَّهُم يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَر لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلحِدُونَ إِلَيهِ أَعجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣)**[8].

وقد بين الصحابي عبد الله بن مسلم الحضرمي أنهم كان لهم صبيَّان عبدان يصقلان السيوف، يقرأن التوراة، هما يسار وخير، وأصلهما من أهل نجران، فمرَّ بهما رسول الله ﷺ وهما يقرأن كتاباً لهما، فقال المشركون: إنما يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية [9].

---

[1] الحجر:٦.
[2] ص:٤.
[3] الإسراء:٤٧.
[4] تفسير ابن كثير، ٤٤/٣، وانظر: فتح القدير، ٢٣٢/٣.
[5] الصافات:٣٦.
[6] الطور:٣٠.
[7] انظر: السيرة النبوية، دراسة تحليلية، ص١٤٣.
[8] النحل:١٠٣.
[9] انظر: تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٧٩/١٤، أسباب النزول: أبو الحسين علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط:١، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، ص٢٦١-٢٦٢، لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، ط:٢، د.ت، ص١٣٤، السيرة النبوية الصحيحة، ١٦٥/١.

وكذلك جادل المشركون رسول الله ﷺ في نزول القرآن منجماً قائلين: (لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة)، وقد بين الله تعالى علة ذلك بقوله: **(كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ٣٢)**[١].

الفرع الساس: الحديث عن استماع نفر من الجن لقراءة الرسول ﷺ:

كما وردت آيات من القرآن تتحدث عن استماع نفر من الجن لرسول الله ﷺ حين انصرافه من الطائف، وقد أورد قصة ذلك أصحاب السير وغيرهم من أهل الحديث [٢].

قال ابن اسحاق: (ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف، راجعاً إلى مكة، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي، فمر به النفر الذين ذكرهم الله تعالى، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته، ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا)[٣].

وقد قص الله تعالى خبرهم عليه ﷺ في قوله تعالى: **(وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٣١)**[٤].

وقوله تعالى: **(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ٢)**[٥].

ففي هذه الآيات دليل على وجود الجن، وأنهم مكلفون، وأن منهم بالله ورسوله، ومنهم من كفر ولم يؤمن، وقد ارتفعت هذه الدلالة إلى درجة القطع بحديث القرآن عنهم [٦].

---

[١] الفرقان:٣٢، وانظر: فتح القدير، ٧٥/٤، السيرة النبوية الصحيحة، ١٦٦/١.
[٢] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٦٣/٢-٦٤، السيرة النبوية لابن كثير، ١٤٩/٢، تفسير ابن كثير، كثير، ١٦٣/٤، زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ٣٠٢/١، فقه السيرة للبوطي، ص١٣٧، الرحيق المختوم، ص١٣٤.
[٣] السيرة النبوية لابن هشام، ٦٣/٢.
[٤] الأحقاف:٢٩-٣١.
[٥] الجن:١-٢.
[٦] انظر: فقه السيرة للبوطي، ص١٤٢.

وقد أورد قصة الجن الإمامان البخاري ومسلم والترمذي أيضاً على نحو قريب وتفصيل آخر لما ذكره ابن إسحاق من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[١].

الفرع السابع: الحديث عن الإسراء والمعراج:

وتحدث القرآن في آيات أخرى عن معجزة الإسراء والمعراج التي كانت تكريماً من الله تعالى لرسوله ﷺ، وتسلية وجبراً للخاطر، وتجديداً لعزيمته وثباته، وتعويضاً عما لقيه في الطائف من الذلة والهوان، والجفاء والنكران أنزل الله في ذلك سورة الإسراء وسورة النجم [٢].

قال تعالى: **(سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسرَىٰ بِعَبدِهِۦ لَيلا مِّنَ ٱلمَسجِدِ ٱلحَرَامِ إِلَى ٱلمَسجِدِ ٱلأَقصَا ٱلَّذِي بَٰرَكنَا حَولَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِن ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ ١)**[٣]، وقال تعالى: **(مَا زَاغَ ٱلبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَد رَأَىٰ مِن ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلكُبرَىٰٓ ١٨)**[٤].

وقد روى حادثة الإسراء والمعراج الإمام البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه [٥].

الفرع الثامن: الحديث عن الهجرة النبوية:

كما تحدث القرآن الكريم عن أهم مراحل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، ولجوئه إلى غار ثور، حينما تآمر المشركون على قتله في دار الندوة ويتشاوروا في أمره، ولكن الله تعالى حال بينهم وبين ذلك [٦].

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (قل أوحي إلي)، ١٦٠/٦، رقم (٤٩٢١)، كتاب الصلاة، باب الجهر بقراءة صلاة الصبح، ١٥٤/١، رقم (٧٧٣)، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة صلاة الصبح، ١٥٤/١، رقم (٧٧٣)، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، ٣٣١/١، رقم (٤٤٩)، سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب سورة الجن، ٤٢٦/٥، رقم (٣٣٢٣).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣٦/٢-٤٩، شرح صحيح مسلم للنووي: يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين النووي (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط:٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ٢٩٠/٢، السيرة النبوية لابن كثير، ٩٦/٢، فتح الباري، ١٣٦/٧-١٣٧، فقه السيرة للبوطي، ص١٤٦،١٥٢، السيرة النبوية الصحيحة، ١٨٨/١، السيرة النبوية للندوي، ص١٦٧،١٦٩، السيرة النبوية، دراسة تحليلية، ص٢١١.

(٣) الإسراء:١.

(٤) النجم:١٧-١٨.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، ٧٨/١، رقم (٣٤٩)، وكتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ٥٢/٥-٥٩، رقم (٣٨٨٧)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، ١٤٥/١-١٤٨، رقم (١٦٢)، (١٦٣)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، ٣٠١/٥، رقم (٣١٣٢).

(٦) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١٢٤/٢-١٢٨، الطبقات الكبرى لابن سعد، ١٥٣/١، تفسير الطبري، ٤٩٧/١٣، تفسير ابن كثير، ٣٠٢/٢، زاد المعاد، ٥٢/٢، فقه السيرة للبوطي، ص١٧٧-١٧٨، السيرة النبوية الصحيحة، ٢٣٥/١، السيرة النبوية للندوي، ص١٩١.

قال ابن اسحاق: (وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له، قال تعالى: **(وَإِذْ يَمكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثبِتُوكَ أَو يَقتُلُوكَ أَو يُخرِجُوكَ وَيَمكُرُونَ وَيَمكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيرُ ٱلمَٰكِرِينَ ٣٠)**[1]، وقال تعالى: **(إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَد نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذ أَخرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثنَينِ إِذ هُمَا فِي ٱلغَارِ إِذ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحزَن إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ٤٠)**[2].

قال ابن اسحاق: (وأذن الله تعالى لنبيه ﷺ عند ذلك في الهجرة، وكان أبو بكر رجلاً ذا مال، فكان حين استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فقال له الرسول ﷺ: (لا تعجل لعل الله يجدلك صاحباً...)[3].

وقد روى قصة هجرة النبي ﷺ إلى المدينة الإمامان البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها [4].

الفرع التاسع: الحديث عن بعض الغزوات:

كما عرض القرآن الكريم لبعض غزواته ومقدماتها ونتائجها وآثارها، كما في حديثه عن غزوة (بدر الكبرى) التي أعز الله تعالى فيها الإسلام والمسلمين، ونصر فيها رسوله الكريم ﷺ، فقد نزلت آيات كثيرة تتحدث عن هذه الغزوة المباركة [5]، منها قوله تعالى: **(وَلَقَد نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدر وَأَنتُم أَذِلَّة فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ ١٢٣)**[6].

كما نزلت فيها آيات أخرى تنظم توزيع الغنائم، وآيات تتحدث عن موقف الرسول ﷺ والمسلمين من أسارى بدر، فقد عرضت لتفصيل ذلك سورة الأنفال[7].

فقال تعالى: **(۞وَٱعلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمتُم مِّن شَيء فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلقُربَىٰ وَٱليَتَٰمَىٰ وَٱلمَسَٰكِينِ وَٱبنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُم ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلنَا عَلَىٰ عَبدِنَا يَومَ ٱلفُرقَانِ يَومَ ٱلتَقَى ٱلجَمعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيء قَدِيرٌ ٤١)**[8].

---

[1] الأنفال:٣٠.
[2] التوبة:٤٠.
[3] السيرة النبوية لابن هشام، ١٢٨/٢.
[4] انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٥٨/٥، ٥٨/٥، رقم (٣٩٠٥)، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق باب في حديث الهجرة، ٢٣٠٩/٤، رقم (٢٠٠٩).
[5] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣٢٧/٢، تفسير ابن كثير، ٣٩٩/١، ٥٠٦/٢، السيرة النبوية للندوي، ص٢٥١، السيرة النبوية الصحيحة، ٣٦٤/٢.
[6] آل عمران:١٢٣.
[7] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣٢٢/٢-٣٢٧، تفسير ابن كثير، ٣١٠/٢، حدائق الأنوار، ٥٠٦/٢، فقه السيرة للبوطي، ص٢٢٦، الرحيق المختوم، ص٢٣٠-٢٣١، السيرة النبوية الصحيحة، ٣٦٨/٢-٣٦٩.
[8] الأنفال:٤١.

وكذلك تناول آيات من القرآن الكريم غزوة أحد، قال تعالى: **(وَإِذْ غَدَوتَ مِن أَهلِكَ تُبَوِّئُ ٱلمُؤمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ... ١٢١)** إلى قوله تعالى: **(ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخوَٰنِهِم وَقَعَدُواْ لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ قُل فَٱدرَءُواْ عَن أَنفُسِكُمُ ٱلمَوتَ إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ ١٦٨)**[١].

فقد أنزل الله هذه الآيات تعليقاً على إرجاف اليهود والمنافقين، وبياناً لحكمة ما حصل في غزوة أحد [٢].

وفي سورة الأحزاب عرض القرآن الكريم وصفاً مفصلاً دقيقاً لغزوة الأحزاب، التي سميت السورة باسمهما، فقد بينت هذه السورة الكريمة عناية الله تعالى بنصر المؤمنين على أحزاب أعدائهم من الكفرة والمنافقين في وقعة الأحزاب، ودفع كيد المنافقين، والثناء على صدق المؤمنين وثباتهم في الدفاع عن الدين، ونعمة الله عليهم بأن أعطاهم بلاد أهل الكتاب الذين ظاهروا الأحزاب [٣]، قال تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذكُرُواْ نِعمَةَ ٱللَّهِ عَلَيكُم إِذ جَآءَتكُم جَآءَتكُم جُنُود فَأَرسَلنَا عَلَيهِم رِيحا وَجُنُودا لَّم تَرَوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرًا ٩)**[٤]، وقال تعالى: **(وَلَمَّا رَءَا ٱلمُؤمِنُونَ ٱلأَحزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُم إِلَّآ إِيمَٰنا وَتَسلِيمًا ٢٢)**[٥].

وتحدث القرآن الكريم عن بني قريظة في غزوة الأحزاب، وهزيمة الرسول ﷺ لهم في نفس السورة، فقال تعالى: **(وَأَورَثَكُم أَرضَهُم وَدِيَٰرَهُم وَأَموَٰلَهُم وَأَرضا لَّم تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرا ٢٧)**[٦].

كما تناولت آيات من القرآن الكريم غزوة حنين، التي كانت درساً في العقيدة الإسلامية، وقانون الأسباب والمسببات من نوع ذلك الدرس الذي أوحت به غزوة بدر، بل متمماً له، فإذا كانت موقعة بدر قد قررت للمسلمين أن القلة لا

---

[١] آل عمران:١٢١-١٦٨.

[٢] انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ٩٣/٥، رقم (٤٠٤١)، السيرة النبوية لابن هشام، ١١٤/٣-١٢٥، تأريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٠٧هـ، ٥٠٠/٢، تفسير ابن كثير، ٤٢٥/١، فقه السيرة للبوطي، ص٢٤٠، الرحيق المختوم، ص٢٨٢.

[٣] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٥٧/٣، تفسير ابن كثير، ٣٧٠/٣-٤٧٣، حدائق الأنوار، ٥٩١/٢، فقه السيرة للبوطي، ص٣٠٢، السيرة النبوية الصحيحة، ٤٣٠/٢-٤٣١، السيرة النبوية للندوي، ص٢٩١، الرحيق المختوم، ص٣٠٦، وانظر أيضاً: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ١١١/٥، رقم (٤١١٣)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، ١٤١٤/٣، رقم (١٧٨٨)، مسند الإمام أحمد: أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، د.ط.ت، ١٩٨/٢٣، رقم (١٤٩٣٦)، من حديث الزبير بن العوام ﷺ.

[٤] الأحزاب:٩.

[٥] الأحزاب:٢٢.

[٦] الأحزاب:٢٦-٢٧، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٦١/٣، تفسير ابن كثير، ٣٧٧/٣-٣٧٨، فتح القدير، ٢٧٤/٤، السيرة النبوية، دراسة تحليلية، ص٥٣، الرحيق المختوم، ص٣١١.

تضرهم شيئاً جنب كثرة أعدائهم إذا كانوا صابرين متقين، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضاً لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين متقين، وكما نزلت آيات من كتاب الله تعالى في تقرير عبرة (بدر)، فقد نزلت آيات منه أيضاً في تقرير العبرة التي ينبغي أن تؤخذ من حنين، وأنزل الله تعالى هذه العظة البليغة [١]، في قوله تعالى: **(وَيَومَ حُنَينٍ إِذ أَعجَبَتكُم كَثرَتُكُم فَلَم تُغنِ عَنكُم شَيئًا وَضَاقَت عَلَيكُمُ ٱلأَرضُ بِمَا رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيتُم مُّدبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلمُؤمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودا لَّم تَرَوهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلكَٰفِرِينَ ٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِن بَعدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُور رَّحِيمٌ ٢٧)**[٢].

كما تحدث القرآن عن غزوة تبوك في آيات كثيرة من سورة التوبة، والتي اشتملت على ذكر ظروف الغزوة، وكشف المنافقين وفضح نواياهم والخفي من مقاصدهم، وبيان أهمية الجهاد وفضل المجاهدين والمخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين والخارجين منهم في الغزوة والمتخلفين، إلى غير ذلك من الأمور [٣].

فقال تعالى: **(فَرِحَ ٱلمُخَلَّفُونَ بِمَقعَدِهِم خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَموَٰلِهِم وَأَنفُسِهِم فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلحَرِّ قُل نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّا لَّو كَانُواْ يَفقَهُونَ... ٨١)** إلى قوله تعالى: **(... فَٱقعُدُواْ مَعَ ٱلخَٰلِفِينَ ٨٣)** [٤].

وقال تعالى: **(لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلمُهَٰجِرِينَ وَٱلأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلعُسرَةِ مِنۢ بَعدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيق مِّنهُم ثُمَّ تَابَ عَلَيهِم إِنَّهُۥ بِهِم رَءُوف رَّحِيمٌ ١١٧)**[٥].

ولذلك كانت تبوك أعظم مادة لهذا الدرس القرآني إذ كان اختبار المسلمين بها أعظم اختبار إلهي كشف اللثام عن النفاق في المدينة، وميَّز المنافقين عن المسلمين الصادقين أعظم تمييز، كما أعلنت للمسلمين سرائرهم وتحذرهم منهم في كل زمان ومكان [٦].

الفرع العاشر: الحديث عن المنافقين وموقفهم من دعوة الرسول ﷺ:

---

[١] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٥٧/٣، تفسير ابن كثير، ٤٧٠/٣-٤٧٣، حدائق الأنوار، ٥٩١/٢، فقه السيرة للبوطي، ص٣٠٢، السيرة النبوية الصحيحة، ٤٣٠/٢-٤٣١، السيرة النبوية للندوي، ص٢٩١، الرحيق المختوم، ص٣٠٦.

[٢] التوبة:٢٥-٢٧.

[٣] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١٨١/٤، تفسير ابن كثير، ٣٧٦/٢-٣٧٧، ٣٩٦، فقه السيرة للبوطي، ص٤١١-٤١٢، السيرة النبوية للندوي، ص٤٢٦،٤١٧، السيرة النبوية الصحيحة، ٥٢٨/٢-٥٢٩، الرحيق المختوم، ص٤٢١.

[٤] التوبة:٨١-٨٣.

[٥] التوبة:١١٧.

[٦] انظر: فقه السيرة للبوطي، ص٤١١.

وفي القرآن الكريم لوحات كاملة كذلك عن موقف المنافقين والنفاق في المدينة المنورة من دعوة الرسول ﷺ، وهي في إطراد وانتشار، كما في السور المدنية، ومن ذلك قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنهُم يَٰٓأَهلَ يَثرِبَ لَا مُقَامَ لَكُم فَٱرجِعُواْ وَيَستَـٔذِنُ فَرِيق مِّنهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَورَةٌ وَمَا هِيَ بِعَورَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارا ١٣ وَلَو دُخِلَت عَلَيهِم مِّن أَقطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلفِتنَةَ لَأٓتَوهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرا ١٤)**[1].

الفرع الحادي عشر: الحديث عن تصوير علاقة المعايشة مع اليهود والنصارى:

وكذلك نجد في القرآن الكريم تصويراً دقيقاً عن تحديد علاقة المعايشة بين النبي ﷺ واليهود، ومجادلته ﷺ للنصارى، فالآيات كثيرة جداً في هذا.

ومن ذلك سورة الحشر التي تتحدث عن بني النضير وهم أصحاب عهد مع النبي ﷺ وفي غيرها من السور والآيات التي تتحدث عن أدوار الصراع الإسلامي اليهودي الفكري والمادي، لتحدد تلك الحقبة مسيرة هذا الصراع مع التأريخ[2].

الفرع الثاني عشر: الحديث عن قضائه ﷺ:

كما تناول القرآن الكريم في كثير من الآيات أحكام النبي ﷺ وقضاءه وقضاياه، من ذلك قوله: **(إِنَّآ أَنزَلنَآ إِلَيكَ ٱلكِتَٰبَ بِٱلحَقِّ لِتَحكُمَ بَينَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلخَآئِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥ وَٱستَغفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورا رَّحِيمًا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِل عَنِ ٱلَّذِينَ يَختَانُونَ أَنفُسَهُم إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيما١٠٧ يَستَخفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَستَخفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُم إِذ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرضَىٰ مِنَ ٱلقَولِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُم هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلتُم عَنهُم فِي ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنهُم يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيهِم وَكِيلا ١٠٩)**[3].

فهذه الآيات في سياقها ومدلولها تقرر قضية من القضايا وقعت، وتصحيح للنبي ﷺ حكمه وقضاءه وتصرفه [4].

---

[1] الأحزاب:١٣-١٤، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٥٧/٣، تفسير ابن كثير، ٤٧٣/٣، فتح القدير، ٢٦٦/٤.

[2] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢٠٢/٣، تفسير ابن كثير، ٣٣٠/٤-٣٣٣، فتح القدير، ١٩٥/٥-١٩٧، السيرة النبوية، دراسة تحليلية، ص٤٥٨-٤٥٩، السيرة النبوية الصحيحة، ٤٨/١، وانظر: الصراع الفكري سورة البقرة، وعن الصراع المادي سورة الحشر والأحزاب مثلاً.

[3] النساء:١٠٥-١٠٩.

[4] انظر: تفسير ابن كثير، ٥٥٠/١-٥٥١، فتح القدير، ٥١١/١-٥١٢.

قال الصابوني: (نزلت هذه الآيات في قصة من أعظم القصص، فيها مثل من أروع الأمثلة في الانتصار للحق والعدالة، قصة سجها القرآن في سجله الخالد، وهي انصاف رجل يهودي، اتهم ظلماً وعدواناً بالسرقة، وإدانة رجل من المسلمين، من ضعفاء الإيمان يتظاهر بالتقوى والصلاح، كان هو السارق، وما كان من مناضرة قومه له، الدفاع عنه، حتى همَّ الرسول ﷺ أن يقطع يد اليهودي لظهور قرائن تشير إلى أنه السارق، ودفاع قوم (طعمة بن أبيرت) عن صاحبهم المسلم المزيف بالباطل ... إلى أن قال: (وهذه القصة درس من أبلغ الدروس في عدالة الإسلام، وبلوغه الذروة العليا في انصاف المظلوم، وردع الظالم، حتى ولو كان يتقمص ثوب الإسلام، وما أسماها من عظة وعبرة)[1].

الفرع الثالث عشر: الحديث عن الحياة الخاصة والعائلية لرسول ﷺ:

كما تحدث القرآن الكريم عن حياته ﷺ العائلية والخاصة في العديد من المواطن، وكيف كان يعيش حياة التقشف والزهد مع إقبال الدنيا عليه، حتى ضاقت بذلك زوجاته، وطلبن منه المزيد من النفقة والتوسعة عليهن لزينتهن ولباسهن، فأطرق مغضباً ولم يجب، فأنزل الله آية التخيير، وهي قوله تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩)**[2]، فأمره الله تعالى أن يخيَّر أزواجه بين بقائهن معه واحتمالهن عيشه وزهده أو الإصرار على مطالبهن من النفقة وزيادة الزينة، وحينئذ يفارقهن ويسرحهن سراحاً جميلاً، مع إعطائهن حقوقهن وتكريمهن، فاختاروا البقاء في عصمته والعيش معه على ما هو عليه ﷺ من ضيق الحال [3].

وقد ذكرت عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمر الله أن يخير أزواجه، قالت: (فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري –أي تستشيري- أبويك، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله قال: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ)** إلى

---

[1] التفسير الواضح: محمد علي الصابوني، الأفق للطباعة، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، ط:٧، (د.ت)، ص٢١٣-٢١٤.

[2] الأحزاب:٢٨-٢٩.

[3] انظر: تفسير ابن كثير، ٤٨٠/٣، فتح الباري، ٥١٩/٨، فتح القدير، ٢٧٥/٤-٢٧٦، حدائق الأنوار، ٥٧٢/٢، السيرة النبوية الصحيحة، ٦٢٥/٣، فقه السيرة للبوطي، ص١١٤، الرحيق المختوم، ص٤٦٠.

تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا استأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة) [١].

أما بقية أزواجه رضي الله عنهن فقلن كما قالت عائشة، فصبرن على ضيق النفقة وقلة المؤنة، فآثرنَّ عند تخييرهن، الله ورسوله والدار الآخرة [٢].

الفرع الرابع عشر: الحديث عن الحالة النفسية والخلجات التي كان يمر بها الرسول ﷺ في بعض مراحل الحياة:

والقرآن الكريم قد تفرد بشيء مهم في السيرة النبوية من دون المصادر كلها، وهو تبيان حالة النبي ﷺ النفسية وتصوير خلجات نفسه في كثير من المواطن، وهذا أمر مهم جداً توازن بينه وبين مجموعة سيرته الظاهرة، لنتأكد من صدقه ونزاهته، وليتم الربط الصحيح بين تصرفه الظاهر وممارسته للحياة والدعوة، وبين طويته وسريرته الباطنية.

لقد تحدث القرآن الكريم عن حديثه مع نفسه، وهو يفاجأ بتنزيل القرآن إليه، من دون تشوف ولا معرفة سابقة بذلك، ويتساءل التساؤل الباطني، هل هذا حق وصدق؟ كما قال تعالى: **(فَإِن كُنتَ فِي شَكّ مِّمَّآ أَنزَلنَآ إِلَيكَ فَسَّلِ ٱلَّذِينَ يَقرَءُونَ ٱلكِتَٰبَ مِن قَبلِكَ لَقَد جَآءَكَ ٱلحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلمُمتَرِينَ ٩٤)**[٣]، قال بعض المفسرين: (إن الآية محمولة على الفرض والتقدير، أي إن فرض أنك يا محمد شككت فاسأل أهل الكتاب، ولهذا قال ابن عباس: (لم يشكك النبي ﷺ ولم يسأل)، وقال قتادة: (بلغنا أن النبي ﷺ قال: (لا أشك ولا أسأل))[٤].

كما صور القرآن الكريم حسرته الباطنية وحرقته، وكاد يموت اسفاً وحزناً وغماً على أعدائه من الكفار لعدم إيمانهم برسالته، ودخولهم في دعوته، وهم يتساقطون في طريق جهنم واحداً إثر آخر [٥]، وكثيراً ما كانت آيات القرآن تنزل لتحضه ﷺ على أن يخفف من همه وحزنه، ويهدئ من حركته، وحتى لا يتعرض جسمه للهلاك، ومن ذلك قوله تعالى: **(فَلَعَلَّكَ بَٰخِع نَّفسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم**

---

[١] متفق عليه، انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: **(إِن كُنتُنَّ تُرِدنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلأَخِرَةَ ٢٩)**، ١١٧/٦، رقم (٤٧٨٦)، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، ١١٠٣/٢، رقم (١٤٧٥)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب، ٣٥٠/٥، رقم (٣٢٠٤)، مسند أحمد، ٣٩١/٢٢، رقم (١٤٥١٥).

[٢] انظر: فتح القدير، ٢٧٥/٤-٢٧٦، السيرة النبوية الصحيحة، ٦٥٢/٢.

[٣] يونس:٩٤، وانظر: تفسير ابن كثير، ٤٣٢/٢، فتح القدير، ٤٧٣/٢-٤٧٤.

[٤] انظر: تفسير الطبري، ١٦٨/١١، الدر المنثور في التفسير المأثور: جلال الدين بن عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٤٠٣هـ، ٣١٧/٣، تفسير ابن كثير، ٤٣٢/٢، فتح القدير، ٤٧٥/٢، التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص٥٣٠-٥٣١.

[٥] انظر: تفسير ابن كثير، ٧٢/٣، التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص٧١٦-٧١٧.

إِن لَّم يُؤمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلحَدِيثِ أَسَفًا ٦)[1]، وقوله تعالى: **(فَلَا تَذهَب نَفسُكَ عَلَيهِم حَسَرَٰتٍ٨)**[2]، وقوله تعالى: **(لَعَلَّكَ بَٰخِع نَّفسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤمِنِينَ ٣)**[3].

لقد كان حزنه ﷺ على أن لا يؤمن الناس بالحق الذي جاء به شيئاً غالباً على نفسه أكثر الأحيان، ومن أجل تخفيف الحزن عليه ﷺ، كانت تنزل الآيات مواسية له ومسلية، ومذكرة إياه بأنه ليس مكلفاً بأكثر من التبليغ، فلا داعي أن يذهب نفسه عليهم حسرات، إذا لم يستجيبوا ولم يؤمنوا [4]، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: **(قَد نَعلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُم لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجحَدُونَ ٣٣)**، إلى قوله تعالى: **(لَو شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُم عَلَى ٱلهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلجَٰهِلِينَ ٣٥)**[5].

وعن مواقف خاصة ومهمة في حياة الرسول ﷺ، فقد بين لنا القرآن الكريم واقعه النفسي، وقد أمر أن يتزوج زينب بن جحش، وقد كانت زوجة متبناه زيد بن حارثة، فقال تعالى: **(وَإِذ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِ وَأَنعَمتَ عَلَيهِ أَمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخفِي فِي نَفسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبدِيهِ وَتَخشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيدٌ مِّنهَا وَطَرا زَوَّجنَٰكَهَا لِكَي لَا يَكُونَ عَلَى ٱلمُؤمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزوَٰجِ أَدعِيَآئِهِم إِذَا قَضَواْ مِنهُنَّ وَطَرا وَكَانَ أَمرُ ٱللَّهِ مَفعُولا ٣٧)**[6].

فقد خشي النبي ﷺ أن يتكلم فيه المتكلمون، وكيف يواجه هذا الأمر الذي درج العرب على عدم الإقدام عليه منذ عصور، فيتزوج زوجة متبناه، فهذا الأمر خطير، لاسيما وهو الأسوة والقدوة التي يحاول الطعن فيها المرجفون والمنافقون، لذلك اهتم له النبي ﷺ كثيراً، وشغله نفسياً مشغلاً كبيراً، فنزل قوله تعالى هذا لحسم المشكلة: **(وَتَخشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخشَىٰهُ ٣٧)**[7].

روى مسلم والترمذي وغيرهما عن عائشة (رضي الله عنها) أنه قالت: (لو كتم محمد ﷺ شيئاً مما أوحي إليه من كتاب الله تعالى لكتم: **(وَتُخفِي فِي نَفسِكَ**

---

(1) الكهف:٦.
(2) فاطر:٨.
(3) الشعراء:٣.
(4) انظر: تفسير ابن كثير، ٣٣١/٣، التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص٧١٦-٧١٧، فقه السيرة للبوطي، ص١٣٥-١٣٦.
(5) الأنعام:٣٣-٣٥.
(6) الأحزاب:٣٧.
(7) انظر: تفسير ابن كثير، ٤٩٠/٣-٤٩١، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٢٠٢/٥، فتح القدير، ٢٨٤/٤-٢٨٥، السيرة النبوية الصحيحة، ٦٥١/٢، الرحيق المختوم، ص٤٥٩.

مَا ٱللَّهُ مُبدِيهِ وَتَخشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخشَىٰهُ ٣٧)[١]، وسيأتي الحديث عن هذا الموضوع بالتفصيل في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

الفرع الخامس عشر: الحديث عن أخلاق النبي ﷺ الكريمة:

كما عرض القرآن الكريم أخلاق النبي ﷺ الكريمة، فأثنى الله تعالى على خلق النبي ﷺ ووصفه بهذا الوصف العظيم في قوله تعالى: **(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم ٤)**[٢]، قال ابن عباس ومجاهد: (لعلى دين عظيم، لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي، وهو دين الإسلام)، وقال الحسن ﷺ: (هو آداب القرآن)[٣]، ومعنى الآية واضح: أي ما كان يأمر به من أمر الله، وينهي عنه من نهى الله، والمعنى إنك لعلى الخلق الذي أثرك الله به في القرآن[٤]. وعن عائشة (رضي الله عنها) حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ وطباعه فقالت: (كان خلقه القرآن)[٥]، أي كانت أخلاقه وشمائله صورة حية تطبيقية لما في القرآن.

قال ابن كثير: (ومعنى هذا: أنه ﷺ صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً سجية له، وخلقاً تطبعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل)[٦].

ومما هو معلوم أن الله تعالى بعث رسوله ﷺ بمكارم الأخلاق واشاعتها، وقد لخص الرسولﷺ الهدف من بعثته وحددها تحديداً واضحاً كما ورد عنه في الحديث المشهور، فقال ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٧].

---

[١] انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى)، ١٦٠/١، رقم (١٧٧)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب، ٣٥٢/٥، رقم (٣٢٠٧)، وقال الترمذي بعد سياقه: (هذا حديث حسن صحيح).

[٢] القلم: ٤.

[٣] انظر: تفسير ابن كثير، ٤٠٢/٤، الدر المنثور في التفسير المأثور، ٢٣٤/٨، تهذيب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه (ت٧٥١هـ)، تهذيب: عبد المنعم صالح العزي، مؤسسة الرسالة، ط:٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ٦٥٣/٢.

[٤] انظر: تهذيب مدارج السالكين، ٦٥٣/٢.

[٥] انظر: مسند الإمام أحمد، ١٤٨/٤١ رقم (٢٤٦٠١)، ١٣٨/٤٢، رقم (٢٥٣٠٢)، وقال عنه الأرنؤوط: (حديث صحيح)، مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط:١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ٢٧٥/٨، رقم (٤٨٦٢)، المستدرك على الصحيحين: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١١هـ - ١٩٩٣م، ٥٤١/٢، رقم (٣٨٤٢)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجها)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقال عنه: (اسناد صحيح على شرط الشيخين)، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٣، ١٤٠٦هـ، ٨٧٢/٢، رقم (٤٨١١).

[٦] تفسير ابن كثير، ٤٠٢/٤.

[٧] رواه أحمد في المسند، ٣٨١/٢، رقم (٨٩٣٢) من حديث أبي هريرة ﷺ قال شعيب الأرنؤوط: (صحيح)، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٦٧٠/٢، رقم (٤٢٢١)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وقال الألباني عنه: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير، ٤٦٤/١، رقم (٢٣٤٩).

وقد جمع الله تعالى للنبي ﷺ مكارم الأخلاق في قوله تعالى: **(خُذِ ٱلعَفوَ وَأمُر بِٱلعُرفِ وَأَعرِض عَنِ ٱلجَٰهِلِينَ ١٩٩)**[١].

قال مجاهد في معنى الآية: (يعني خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تخسيس، مثل قبول الأعذار والعفو والمساهلة، وترك الاستقصاء في البحث والتفتيش عن حقائق بواطنهم)[٢].

وقال ابن عباس في قوله: (وأمر بالعرف)، وهو كل معروف وأعرفه التوحيد، ثم حقوق العبودية وحقوق العبيد)[٣]، ثم قال تعالى: (وأعرض عن الجاهلين) يعني: إذا سفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه، كقوله تعالى: **(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰما ٦٣)**[٤]، قال ابن كثير: (إذا سفه عليهم الجهال بالسيء لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً)[٥]، وهكذا كان خلقه ﷺ، قال أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً)[٦].

وبين القرآن الكريم كذلك ما اتصف به ﷺ من الرحمة والرأفة على الناس، والشفقة على المسلمين، والحرص الشديد على رشاد القوم، والخوف الشديد عليهم من الهلاك والضلال، وأنه كان من أنفسهم وليس غريباً عنهم فقال تعالى: **(لَقَد جَآءَكُم رَسُول مِّن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِٱلمُؤمِنِينَ رَءُوف رَّحِيم ١٢٨)**[٧].

ومخاطبة الله تعالى للعرب بأن الرسول من أنفسهم تذكير لهم، بأنه لهم ناصح ومحب، وعليهم مشفق، وعلى هدايتهم حريص، وأنه بهم رفيق، وعليهم مشفق، يشق عليه ضلالهم، ويفرح لهدايتهم [٨].

وقد وصفه الله تعالى بأنه رؤوف بالمؤمنين، وأنه رحيم بهم، يعز عليه كل ما فيه مشقة عليهم، وأنه عظيم الحرص عليهم، يتمنى هدايتهم، ويصبر على أذاهم.

---

[١] الأعراف: ١٩٩.
[٢] انظر: تفسير ابن كثير، ٢٧٧/٢، تهذيب مدارج السالكين، ٦٥٣/٢.
[٣] تهذيب مدارج السالكين، ٦٥٥/٢.
[٤] الفرقان:٦٣.
[٥] تفسير ابن كثير، ٢٧٧/٢، وانظر: تهذيب مدارج السالكين، ٦٥٥/٢.
[٦] متفق عليه، انظر: صحيح البخاري كتاب الأدب، باب الكنية للصبي، ٤٥/٨، رقم (٦٢٠٣)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، ١٨٠٥/٤، رقم (٢٣١٠)، سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ، ٢٤٦/٤، رقم (٤٧٧٣).
[٧] التوبة:١٢٨، وانظر: تفسير ابن كثير، ٤٠٣/٢-٤٠٤، فتح القدير، ٤١٨/٢-٤١٩.
[٨] انظر: فتح القدير، ٤١٨/٢، السيرة النبوية الصحيحة، ٥٣٦/٢.

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: **(فَبِمَا رَحمَة مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُم وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلقَلبِ لانفَضُّواْ مِن حَولِكَ ١٥٩)**[١].

في هذه الآية: إشارة لجملة من الخصائص الأخلاقية العالية التي اتصف بها الرسول ﷺ منها: أنه ﷺ كان هيناً ولين الجانب للناس على اختلاف مشاربهم وسلوكياتهم، وجعل الله ذلك من بعض رحمته التي أودعها الله تعالى إلى قلب نبيه ﷺ.

وقد يكون من بعض معاني اللين أنه ﷺ لم يكن فظاً ولا غليظ مما لو كان فيه من ذلك شيء لنفرت منه الناس، ولما أقبلت عليه بالمودة والتعاطف، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الرسولﷺ كان محبوباً من غالبية أبناء الأمة وأفراد المجتمع [٢].

كما وصف الله تعالى نبيه محمد ﷺ في القرآن الكريم بأعم الرحمة وأكملها فقال تعالى: **(وَمَآ أَرسَلنَٰكَ إِلَّا رَحمَة لِّلعَٰلَمِينَ ١٠٧)**[٣].

في هذه الآية أكثر من اشارة إلى التكليف الذي كلف الله به رسوله ﷺ في دعوة العالم البشري والإنساني، إذ جعله الله تعالى مرسلاً إلى العالمين ليكون متنفس فرج لهم، ومنفذ أمن وخير للبشرية التي كانت معذبة بما تراكم عليها من ظلم حكامها وفساد أعرافها وضلال خطتها [٤].

فلا عجب أن كانت بعثته ﷺ رحمة للعالمين، مؤمنهم وكافرهم، وانسهم وجنهم، وأن يعبر عن جوهر رسالته بقوله ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ: (يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة)[٥]، وقولهﷺ أيضاً في حديث أبي هريرة ﷺ: أنه قال: (قيل يا رسول الله أدع على المشركين، فقال ﷺ: (... إنما بعثت رحمة)[٦]. رحمة)[٦].

---

[١] آل عمران:١٥٩.
[٢] انظر: التفسير الواضح الميسر، ص١٥٧.
[٣] الأنبياء:١٠٧.
[٤] انظر: التفسير الواضح الميسر، ص٨١٣.
[٥] انظر: المستدرك على الصحيحين، ٩١/١، رقم (١٠٠)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرطهما)، وقال الذهبي في تعليقه: على شرطهما، وقال عنه الألباني: (وهذا اسناد صحيح مرسل عن أبي هريرة)، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:٤، ١٤٠٥هـ، ٨٨٢/١، رقم (٩٤٠)، وقال الهيثمي: (رواه الطبراني والبزار برجال الصحيح)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، د.ت، ٢٥٧/٨.
[٦] انظر: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ٢٠٠٦/٤، ٢٠٠٦/٤، رقم (٢٥٩٩).

وظهرت شفقته ورحمته ﷺ بأمته في السنة النبوية في أقواله ﷺ وأفعاله وجميع سيرته التي كانت ترجمة حية وتفسير عملي لمعاني القرآن وآدابه وتوجيهاته والتخلق بأخلاقه.

وجاء في القرآن الكريم أيضاً على لسان نبيه ﷺ قوله تعالى: **(فَقَد لَبِثتُ فِيكُم عُمُرا مِّن قَبلِهِۦٓ أَفَلَا تَعقِلُونَ ١٦)**[1]، وذلك أن الرسول ﷺ ولد فيهم، وترعرع بينهم، ونشأ أمام أعينهم برهة من الدهر قبل بعثته، فعرفوا أخلاقه كل المعرفة، وجربوا عاداته وأعماله، فهو لم يكن فيهم غريباً، ولا خاملاً ولا مجهول الأحوال [2].

والوحي الإلهي في هذه الآية: يقدم حياة الرسول ﷺ وسيرته الطاهرة قبل البعثة دليلاً على نبوته ﷺ، وأن رسالته هي من عند الله العظيم، ليؤمن به العرب ويصدقوه فيما يخبر به ويدعو إليه [3].

إلى غير ذلك من آيات القرآن الكريم التي تناولت هذا الجانب من سيرة النبي ﷺ.

المطلب الثاني

التعليق على الوقائع والأحداث التي تعرض للنبي ﷺ وموقفه منها

من أساليب القرآن الكريم في عرض سيرة الرسول ﷺ، التعليق على الوقائع والأحداث التي كانت تعرض للنبي ﷺ وموقفه منها.

لقد كانت تقع حوادث ووقائع ومواقف مهمة في عهده ﷺ، تستدعي بياناً وحلاً سريعاً، فينزل الوحي والبيان في تلك الوقائع، وذلك للإجابة على ما قد استشكل في شأنها، أو الكشف عن بعض الغوامض فيها، أو لفت نظر المسلمين إلى وجه العبرة والموعظة فيها.

وكل ذلك إنما يرتبط بجانب ما من سيرته ﷺ، او شأن من شؤونه، فهي بذلك تجلي لنا الكثير من مراحل حياته ومختلف شؤونه وأعماله، ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

الفرع الأول: حادثة الإفك:

لقد كانت حادثة الإفك، وما فيها من دروس وعظات، فريدة من نوعها في حياة الرسولﷺ التي تلقاها من اعدائه، وكانت وقعاً شديداً على نفسه ﷺ حيث

---

[1] يونس:١٦.
[2] انظر: الرسالة المحمدية: السيد سليمان الندوي، ص٢١-٢٢.
[3] انظر: المصدر السابق، ص٢٤، وانظر: تفسير التحرير والتنوير، ١١٦/١١.

تأثر أبلغ التأثير، لرمي المنافقين زوجته عائشة (رضي الله عنها)، وهي أحب زوجاته إليه.

فقد فوجئ ﷺ بهذه الحادثة، لأنها ليست مما اعتاده أو توقعه، إنها طعنة كبيرة في أخص ما يعتز به كل إنسان في شرفه وكرامته.

لذا كانت هذه الأذية أبلغ في تأثيرها، ولا سيما وقد تأخر نزول الوحي في كشف حقيقتها، وفضح مرتكبيها قرابة شهر، مما جعل الرسولﷺ في حيرة من أمره، يتصرف ويفكر كأي أحد من الناس، ويشكك في ما يسمع، ويضطرب كما يضطربون، بل أنه بذل جهده في التحري والاستشارة.

فأخذ يستشير فيمن يثق به من أهل الرأي والمشورة من أصحابه، وكأن هذا حكمة إلهية لإبراز الجانب الإنساني فيه ﷺ في فترة تأخر الوحي [١].

وأثناء هذا كان الرسول ﷺ لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس: (إني لا أعلم عنها إلا خيراً)، وكل من يستشيره يرد عليه: (ما علمنا عليها من سوء)، ولم يزد أن قال لها أخر الأمر: (... أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله)[٢]، ومع كل ذلك فإنه لم يتبين له الأمر، أو استحضار الوحي الذي انقطع عنه ﷺ شهراً عانى خلاله الرسول ﷺ أشد المعاناة، ليجري عليه الابتلاء والامتحان حتى أنزل الله تعالى العشر الآيات من سورة النور ببراءة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، صيانة لعرض رسول الله ﷺ، وإدانة المنافقين والخاطئين، قال تعالى: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلإِفكِ عُصبَةٌ مِّنكُم لَا تَحسَبُوهُ شَرّا لَّكُم بَل هُوَ خَير لَّكُم ...١١)**، إلى قوله تعالى: **(وَلَولَا فَضلُ ٱللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوف رَّحِيم ٢٠)**[٣].

الفرع الثاني: حادثة الظهار:

ففي حادثة الظهار التي كانت بين خولة بنت مالك بن ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت[٤] (رضي الله عنهن)، حين ظاهر منها زوجها، فجاءت إلى رسول

---

[١] انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣١٥/٣، السيرة النبوية الصحيحة، ٤١٥/٢، فقه السيرة للبوطي، ص٢٨٦-٢٨٧، الرحيق المختوم، ص٢٢٣-٢٢٤.

[٢] انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ١١٦/٥، رقم (٤١٤١)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ٢١٢٩/٤-٢١٣٦، رقم (٢٧٧٠)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النور، ٣٢٨/٥، رقم (٣١٨٠)، مسند أحمد، ٤٠٤/٤٣، رقم (٢٥٦٢٣)، من حديث عائشة (رضي الله عنها).

[٣] النور:١١-٢٠، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣١٥/٣، تفسير ابن كثير، ٢٦٨/٣، حدائق الأنوار، ٥١/١-٥٢، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: د.محمد عبدالله دراز (ت١٣٧٧هـ)، دار القلم، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص١٧، السيرة النبوية الصحيحة، ٤١١/٢-٤١٥، فقه السيرة للبوطي، ص٢٨٩، التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص١٣٧٩.

[٤] هو أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم الخزرج الأنصاري، شهد بدراً وأحداً، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، مات في أيام عثمان، ودفن بالرملة من أرض فلسطين سنة ٣٤هـ، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ، ٣٠٣/١.

الله ﷺ تشتكي إليه، وجعلت تراجع الرسول ﷺ حتى أنزل الله فيها قوله تعالى: **(قَد سَمِعَ ٱللَّهُ قَولَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوجِهَا وَتَشتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١)**، إلى قوله تعالى: **(وَتِلكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤)**[1]، وفي اسم هذه المجادلة ونسبتها وسبب نزول هذه الآيات آراء لأهل العلم [2].

روى أبو داود عن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت: (ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، فذكرت أموراً، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: (اتق الله فإنه ابن عمك)، فما برحت حتى نزل القرآن: **(قَد سَمِعَ ٱللَّهُ قَولَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوجِهَا وَتَشتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ...١)**[3].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (تبارك الله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة فكلمت رسول الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها، وتقول: (يا رسول الله أبلى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآيات: **(قَد سَمِعَ ٱللَّهُ قَولَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوجِهَا وَتَشتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ... ١)**[4].

والظهار أن يقول الرجل لزوجته: أنتِ عليَّ كظهر أمي، وكان ذلك يعتبر طلاقاً في الجاهلية، فرحمه الإسلام ومَّه وبينَّ حكم فاعله [5].

الفرع الثالث: الرد على الأسئلة:

---

(1) المجادلة:١-٤، وانظر: أسباب النزول للواحدي، ص٣٠٤، تفسير ابن كثير، ١٣٨/٤، البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٤/١، الإتقان في علوم القرآن، ١١٠/١.

(2) انظر: تفسير الطبري، ٦٠٥/٢، أسباب النزول للواحدي، ص٣٠٤، تفسير ابن كثير، ٣١٨/٤، زاد المسير في علم التفسير، ١٨٠/٨.

(3) انظر: سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب الظهار، ٢٦٦/٢، رقم (٢٢١٤)، قال الألباني عنه: (حديث حسن)، انظر: صحيح أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس، الكويت، ط:١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ٤١٧/٦، رقم (١٩١٨).

(4) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد (تعليقاً)، باب وكان الله سميعاً بصيرا، ١١٧/٩، رقم (٧٣٨٥)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة المجادلة، ٤٠٥/٥، رقم (٣٢٩٩)، سنن النسائي الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كروي حين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، كتاب الطلاق، باب الظهار، ١٦٨/٦، رقم (٣٤٦٠)، سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب المظاهر يجامع قبل أن يكفر، ٢١٤/٣، رقم (٢٠٦٣)، مسند أحمد، ٣٠٠/٤٥، رقم (٢٧٣١٩)، سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسن البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، كتاب الظهار، باب سبب نزول آية الظهار، ٦٢٨/٧، رقم (١٥٢٤٢)، المستدرك على الصحيحين، ٥٢٣/٢، رقم (٣٧٩١)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وقال الذهبي في تعليقه (صحيح).

(5) انظر: التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص١٣٧٩.

لقد تولى القرآن الكريم الإجابة على الأسئلة التي كانت توجه للنبي ﷺ، في صورة مواقف ومن ذلك، الأسئلة التي يطرحها بعض المشركين وأهل الكتاب، وأحياناً يرد السؤال من المسلمين في بعض الأمور، فتنزل آيات القرآن بياناً في ذلك.

وفي ذلك يقول البوطي: (... لقد كان النبي ﷺ يسأل عن بعض الأمور، فلا يجيب عليها، وربما مرَّ على سكوته زمن طويل، حتى إذا نزلت آية من القرآن في شأن ذلك السؤال طلب السائل، وتلا عليه ما نزل من القرآن في شأن سؤاله، وربما تصرف الرسول ﷺ في بعض الأمور على وجه معين، فتنزل آيات من القرآن تصرفه عن ذلك الوجه، وربما انطوت على عتب ولوم)[1]، ومن تلك الآسئلة:

١ـ السؤال عن الأهلة:

قال تعالى: **(۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۚ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩)**[2].

فقد ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية هو: (أن رجلين من الصحابة قالا: يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد ويمتلئ حتى يستدير ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان؟ فنزلت: **(۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ ... ١٨٩)**، هذا قول ابن عباس [3].

فكان نزول الجواب الإلهي لما سألوا عن الأهلة ما شأنها؟: (قل هي مواقيت للناس والحج...) صارفاً أنظار المؤمنين وانتباههم لما ينبغي أن يعتنوا به، ويصرفوا همتهم لأجله، وهو البر بعد تصحيح ما كان عالقاً من رواسب الجاهلية: **(وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۚ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ١٨٩)**[4].

وروى البخاري عن البراء (رضي الله عنه) قال: كانت الأنصار إذا حجوا فرجعوا، لم يدخلوا بيوتهم من قبل أبوابها فجاء رجل من الأنصار فدخل داره من قبل بابه فكأنه عُيِّر بذلك فنزلت: **(وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا**

---

[1] فقه السيرة للبوطي، ص٨٨.
[2] البقرة:١٨٩
[3] انظر: زاد المسير في علم التفسير، ١٩٥/١، لباب النقول في أسباب النزول، ص٢٧.
[4] البقرة:١٨٩، وانظر: تفسير ابن كثير، ٢٢٥/١، التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص٧٠.

وَلَٰكِنَّ ٱلبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأتُواْ ٱلبُيُوتَ مِن أَبوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ١٨٩)[1].

فأخبر تعالى أن دخول البيوت من ظهورها ليس ببر، لأنه تعالى لم يشرعه لهم، وقد كانوا يعتقدون أن هذا هو البر، فجاء القرآن ليبطل هذا التصور الخاطئ، والعلم المتكلف الذي لا يستند إلى دليل، وجاء يصحح التصور الإيماني للبر، الذي هو التقوى والشعور بخشية الله تعالى ومراقبته، وليس التعسف بأعمال وشكليات ما أنزل الله بها من سلطان، ولن تعدو إلا أن تكون عادة جاهلية [2].

٢ـ السؤال عن المحيض:

قال تعالى: **(وَيَسـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلمَحِيضِ قُل هُوَ أَذًى فَٱعتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلمَحِيضِ وَلَا تَقرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطهُرنَ فَإِذَا تَطَهَّرنَ فَأتُوهُنَّ مِن حَيثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلمُتَطَهِّرِينَ٢٢٢)**[3].

جاء في سبب نزول هذه الآية: كما روى أنس بن مالك ﷺ: (أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: **(وَيَسـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلمَحِيضِ قُل هُوَ أَذى فَٱعتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلمَحِيضِ ...٢٢٢)**، فقال رسول الله ﷺ: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه) [4].

فلما سأل أصحاب رسول الله ﷺ هذا السؤال، أي عن الحيض وعلاقتهم بنسائهم من قبل أن يسلموا، ويهاجر إليهم رسول الله ﷺ كانوا يساكنون اليهود، فأخذوا وتأثروا بهذه العادات حسناً للظن بهم، لأنهم أهل كتاب.

فلما أن بين لهم رسول الله ﷺ حكم هذه المسألة أمرهم أن يخالفوا اليهود وأن لا يهجروا نسائهم، بل أن يفعلوا معهن كل شيء إلا جماعهن...، وأنزل الله في

---

[1] متفق عليه، انظر: صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قوله تعالى: (وأتوا البيوت من أبوابها)، ٨/٣، رقم (١٨٠٣)، صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (وليس البر)، ٢٣١٩/٤، رقم (٣٠٢٦).

[2] انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسن الشاربي (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط:١٧، ١٤١٢هـ، ١٨٤/١.

[3] البقرة:٢٢٢.

[4] صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، ٢٤٦/١، رقم (٣٠٢)، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في مؤاكلة الحائض ومجامعتها، ٦٧/١، رقم (٢٥٨)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، ٢١٤/٥، رقم (٢٩٧٧)، وقال الترمذي بعد سياقه: (هذا حديث حسن صحيح)، مسند الإمام أحمد، ١٣٢/٣، رقم (٢٣٧٦).

ذلك قوله تعالى: **(وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ ... ٢٢٢)** [١].

فهذه الآية الكريمة بينت اعتزال النساء في حال الحيض من إتيانهن، أي مجامعتهن، وليس هجرهن وإخراجهن من بيوتهن كما كان يفعل اليهود.

قال ابن جرير ρ: (وإنما كان القوم سألوا رسول الله ﷺ عن الحيض، لأنهم كانوا قبل بيان الله لهم ما يتبينون من أمرهم، لا يساكنون حائضاً في بيت، ولا يؤاكلونهن في إناء، ولا يشاربونهن)، فعرفهم الله بهذه أن الذي عليهم في أيام حيض نسائهم أن يجتنبوا جماعهن فقط، دون ما عدا ذلك من مضاجعتهن ومأكلتهن ومشاربتهن) [٢].

٣ـ السؤال عن الروح:

قال تعالى: **(وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ٨٥)**[٣].

جاء في سبب نزول هذه الآية: كما روى البخاري ومسلم وغيرهما، عن عبدالله بن مسعودﷺ قال: (بينما أنا مع النبي ﷺ في حرث [٤]، وهو متكئ على عسيب[٥]، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح [٦]، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: **(وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥)**[٧].

---

[١] البقرة:٢٢٢، وانظر: تفسير ابن كثير، ٢٥٨٨/١-٢٦٠، أسباب النزول للواحدي، ص٤٠، لباب النقول في أسباب النزول، ص٣٥.

[٢] تفسير الطبري، ٣٧٢/٤-٣٧٣.

[٣] الإسراء:٨٥.

[٤] في حرث: هو موضع الزرع، انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ٦٦١/٥.

[٥] عسيب: أي جريدة من النخل، وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك إبن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ٢٠٠٧م، ٢٣٤/٣.

[٦] الروح: قال ابن الأثير: (وردت في القرآن والحديث على معان، والغالب منها، أن المراد بالروح: الذي يقوم به الجسد، وتكون به الحياة، وقد أطلق على القرآن والوحي والرحمة، وعلى جبريل في قوله تعالى: (الروح الأمين، وروح القدس، والروح يذكر ويؤنث)، المصدر نفسه، ٢٧١/٢-٢٧٢.

[٧] متفق عليه، انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ويسألونك عن الروح، ٨٧/٦، رقم (٤٧٢١)، وكتاب العلم، باب قوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)، ٣٧/١، رقم (١٢٥)، صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، ٢١٥٢/٤، رقم (٢٧٩٤)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، ٣٠٤/٥، رقم (٣١٤١)، وقال الترمذي بعد سياقه: (هذا حديث حسن صحيح)، مسند أحمد، ٣٨٩/١، رقم (٣٦٨٨).

والحديث بهذا السياق يدل صراحة على أن هذه الآية مدنية، وأنها نزلت في سؤال اليهود عن ذلك، والمعلوم أن سورة الإسراء كلها مكية، وقد حكى الزركشي الإتفاق على ذلك[١].

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: (قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: **(وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥)**)[٢]، ونص هذا الحديث يدل على ان هذه الآية نزلت بمكة.

قال ابن كثير: (ويمكن أن يجمع بين الحديثين بتعدد النزول، بأن تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية، كما نزلت بمكة قبل ذلك)[٣].

وكذلك قال ابن حجر: (يمكن الجمع بأن يتعدد النزول، بحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان في ذلك، وإلا فما في الصحيح أصح)[٤].

ويرجح ما في الصحيح، لأن راويه عبدالله بن مسعود ﷺ كان حاضراً للقصة، بخلاف ابن عباس رضي الله عنهما [٥].

لقد كانت هذه الأسئلة التي توجه للنبي ﷺ ذات دلالات نفسية منها:

- هي دليل على حالة من النَّمو الفكري والنفسي والشعوري بوجه عام، ويروز أوضاع جديدة في المجتمع الذي جعل يأخذ شخصيته الخاصة، ويتعلق به الأفراد تعلقاً نفسياً ووجدانياً وثيقاً.

- وهي أيضاً دليل على يقظة الحس الديني، وتغلغل العقيدة الجديدة وسيطرتها على النفوس، مما يجعل كل أحد يتحرج ان يأتي أمراً في حياته اليومية قبل أن يستوثق من رأي العقيدة الجديدة فيه، فلم تعد لهم مقررات سابقة في الحياة يرجعون إليها، وهذه الحالة النفسية الشعورية هي الحالة التي ينشئها الإيمان الحق.

- ومن تلك الدلالات أيضا: الحذر لدى المسلمين من محاولات اليهود في المدينة، والمشركين في مكة من محاولات التشكيك في عقيدة المسلمين، وانتهاز كل فرصة للقيام بحملات مضللّة على بعض الأحداث، كما وقع في سرية عبدالله بن جحش ﷺ، والتناوش الذي حصل مع مشركي مكة في الأشهر

---

[١] انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، ٣٠/١.

[٢] انظر: سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، ٣٠٤/٥، رقم (٣١٤٠)، وقال الترمذي بعد سياقه: (هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه)، سنن النسائي الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: (لو كان البحر مداداً لكلمات ربي)، ٣٩٢/٦، رقم (١١٣١٤)، مسند أحمد، ٢٥٥/١، رقم (٢٣٠٩).

[٣] تفسير ابن كثير، ٦٠/٣.

[٤] فتح الباري، ٥١٢/٨.

[٥] انظر: أسباب النقول في أسباب النزول، ص١٤١.

الحرم، ونتج عنه مقتل أحد المشركين مما استدعى ظهور بعض الاستفهامات، فنزل القرآن بما يقطع الطريق على تلك المحاولات، ويسكب الطمأنينة واليقين في قلوب المسلمين، ومعنى هذه الدلالة أن القرآن الكريم كان دائماً في قلب المعركة [1]، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي عرضت هذا الجانب من سيرة النبي ﷺ.

المبحث الثالث
آيات العتاب لأعمال النبي ﷺ وتصرفاته

الرسول ﷺ كبقية الرسل الكرام، معصوم من الذنوب والآثام، محفوظ بعناية الله عز وجل، فلا يمكن أن تقع منه مخالفة لأمر الله، أو يرتكب ذنباً يستحق عليه العقوبة.

ولكنه ﷺ قد يجتهد خلاف الأفضل والأحسن فيعاتبه ربه، وليس هذا من قبيل الذنب والمعصية، وإنما هو من قبيل التنبيه إلى الأكمل والأفضل[2].

ولذلك كان مما يبين جزءاً مهماً من سيرة النبي الكريم ﷺ ما ورد في القرآن الكريم من آيات العتاب لرسول الله ﷺ، والتي سوف نفصل القول في بعض منها من خلال المطالب الأتية:

المطلب الأول
العتاب في أسرى بدر

قال تعالى: **(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيم ٦٨)**[3].

ومن الروايات التي ذكرها أصحاب التفسير والحديث في سبب نزول هذه الآية: ما رواه مسلم وأبي داود وغيرهما عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (لما أسروا الأسرى- يعني يوم بدر- قال رسول الله ﷺ، لأبي بكر وعمر: (ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال

---

[1] انظر: في ضلال القرآن: سيد قطب، ١٧٩/١.

[2] أنظر: النبوة والأنبياء: محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص٩١، ٩٢، فقه السيرة للبوطي، ص٢٢٤- ٢٢٥، تأريخ التشريع الإسلامي ص١١٠.

[3] الأنفال: ٦٧-٦٨.

رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ فقال: (لا والله يا رسول الله، لا أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنني أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل، (أي أخيه) فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان- قريب لعمر- فأضرب عنقه، ومكن فلاناً من فلان قرابته.. فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما)، فقال رسول الله ﷺ: (أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة- لشجرة قريبة منه- وأنزل الله عز وجل: **(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسرَىٰ حَتَّىٰ يُثخِنَ فِي ٱلأَرضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلأَخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم ٦٧ لَّولَا كِتَٰب مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَآ أَخَذتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٨)**[1].

في هذه الآية عتاب للرسول ﷺ حين أطلق سراح أسرى بدر، والتي توهم أن الرسول ﷺ قد خالف أمر الله، أو قد ارتكب ذنباً أو عصى أمراً لله تعالى حتى نزل هذا العتاب الشديد، مع أن الأمر ليس كذلك، وإنما غاية الأمر أن الرسول ﷺ قد استشار أصحابه في شأن أسرى بدر، فأشار الصحابة ما عدا عمر، بأخذ الفداء منهم، ثم اجتهد فحكم بترجيح رأي الأكثرين، فقبل الفداء من الأسرى، وكان هذا الاجتهاد خلاف الأفضل والأحسن، لأن مصلحة الدعوة، ومصلحة الإسلام كانت تقتضي ألا يقبل ﷺ منهم الفداء، بل يسفك ويريق منهم الدماء لتضعف شوكة الكفر، ويكون العز والنصر للمؤمنين، لاسيما وأن هذه المعركة أول حرب تقع بين المؤمنين والمشركين.

غير أن آيات من القرآن نزلت عتاباً لرسول الله ﷺ في ذلك، وتأييداً للرأي الذي رآه عمر رضي الله عنه من قتلهم[2].

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، ١٣٨٣/٣- ١٣٨٥ رقم (١٧٦٣)، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، ٦١/٣ رقم (٢٦٩٠)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان البُتي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيرت، ط:٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، باب غزوة بدر ١١٤/١١ رقم (٤٧٩٣)، سنن البيهقي الكبرى، كتاب السير، باب ما يفعله بالرجال البالغين ٦٧/٩ رقم (١٧١٨).

[2] أنظر: السيرة النبوية لأبن هشام ٣٣١/٢- ٣٣٢، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٦٦م، ٢٣/٢، التفسير الكبير: محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، ط:٢، (د.ت)، ٣٨٥/٤، تفسير ابن كثير، ٣٢٥/٢، فتح القدير، ٣٢٥/٢، النبوة والأنبياء، للصابوني، ص٩٤، السيرة النبوية الصحيحة، ٣٦٨/٢، السيرة النبوية الصحيحة، ٣٦٨/٢، فقه السيرة للبوطي، ص٢١٧.

قال ابن عطية: (هذه الآية تتضمن- عندي- معاتبة من الله عز وجل لأصحاب نبيهﷺ، والمعنى: ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي أسرى قبل الإثخان، والاخبار هو لهم، ولذلك استمر الخطاب بـ(تريدون)، والنبي ﷺ لم يأمر بإستبقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد قط عرض الدنيا، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب، وجاء ذكر النبي ﷺ في الآية مشيراً إلى دخوله ﷺ في العتب حين لم ينه عن ذلك، حين رآه من العريش، وأنكره سعد بن معاذ، ولكنه ﷺ شغله بغت الأمر وظهور النصر، فترك النهي عن الإستبقاء، ولذلك بكى ﷺ وأبو بكر حين نزلت هذه الآية)[١].

فهذا العتاب من الله عز وجل لنبيه ﷺ ولأصحابه، كان بقصد التعليم والتنبيه إلى الأخذ بالأكمل والأفضل، وقد قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: **(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ٦٧)**، قال: (إن ذلك إنما كان يوم بدر، والمسلمون يومئذ في قلة، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى في الأسارى: **(فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ٤)**[٢] فجعل الله النبيﷺ والمؤمنين في أمر الأسرى بالخيار، إن شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا استعبدوهم، وإن شاءوا فادوهم، (أي أطلقوا سراحهم مقابل الفداء)[٣].

والآية الكريمة قد أشارت إلى أن هذا الأمر لما كان عن اجتهاد ومشاورة من رسول ﷺ لأصحابه وأن الله عز وجل سبقت حكمته الأزلية، ألا يؤاخذ المؤمنين على ما قع من خطأ بطريق الاجتهاد، لذلك أعقبها تعالى بقوله: **(لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ٦٨)**[٤]، والكتاب الذي سبق من الله قيل: هو قوله تعالى: **(فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ٤)**[٥].

ففيه الإذن بأخذ الفدية من الأسارى، ولذلك لم يعذبوا، وإنما نزل العتاب، لأنهم أسروا الكفار قبل أن يثخنوا في الأرض، وقيل: بل الآية المذكورة نزلت فيما بعد، وإنما الكتاب الذي سبق من الله، هو ما كان في علم الله من إحلال الغنائم لهذه الأمة، أو من المغفرة والرحمة لأهل بدر [٦].

---

[١] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ، ٣٧٦/٦.

[٢] محمد: ٤.

[٣] أنظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم: أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس (ت٣٣٩هـ)، القاهرة، (د.ت)، ص٢٢١، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخيار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ٣٠٥/٧.

[٤] الأنفال: ٦٨، وانظر: النبوة والأنبياء للصابوني، ص٩٦- ٩٧.

[٥] محمد: ٤.

[٦] أنظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٣٣٢/٢، تفسير ابن كثير: ٣٢٦/٢، فتح القدير: ٣٢٥/٢- ٣٢٦، الرحيق المختوم: ص٢٢٩.

وبما أن الأمر قد استقر على رأي الصديق، فقد أخذ منهم الفداء، وكان الفداء أربعة آلاف درهم إلى ما دون ذلك، ومن لم يكن له شيء من الأسرى، جعل فداؤهم أن يعلموا عشرة من أولاد الأنصار الكتابة، فإذا حذقوا فهو فداء [١]، وبذلك شرع الأسرى يعلمون غلمان الأنصار (القراءة والكتابة) وكل من يعلم عشرة من الغلمان يفدي نفسه.

وقبول النبي ﷺ تعليم القراءة والكتابة بدل الفداء في ذلك الوقت، الذي كانوا فيه بأشد الحاجة إلى المال يرينا سمو الإسلام في نظرته إلى العلم والمعرفة، وإزالة الأمية [٢].

وبهذا أحل لهم ما أخذوه من الفداء بعد أن عاتبتهم الآية في تفضيل الفداء على عقوبة أئمة الكفر، وهذا الحكم كان في أول الإسلام، ثم جعل الحكم في الأسرى بعد ذلك الخيار للإمام بين القتل، أو المفاداة، أو المن عليهم دون فداء [٣].

وأما العتاب من الله على أخذ الفداء في أسارى بدر، فهذا كان في مبدأ أمر الرسول ﷺ، حيث لم تكن قد تحققت عنده القدرة الكافية على اتخاذ الأسرى، فشرط الأسر منتف، وليس العتاب على مجرد أخذ الفداء [٤]، وإنما هو عتاب في الظاهر لإظهار الإمتنان من الله على عباده بعدم قتلهم، رغم استحقاقهم له [٥].

ثم إن مسألة الأسرى، بما تضمنته من مشاورة الرسول ﷺ في شأنهم، وما أعقبها من حكم افتدائهم بالمال، ثم نزول آيات تعتب على النبي ﷺ وأصحابه إتخاذ ذلك الحكم، فقد دلت هذه الواقعة على ان النبي ﷺ كان له أن يجتهد، والذين ذهبوا إلى هذا- جمهور علماء الأصول- وإستدلوا على ذلك بمسألة أسرى بدر، وإذا صح أن يجتهد، صح منه بناءً على ذلك أن يخطئ في الإجتهاد ويصيب، غير أن الخطأ لا يستمر، بل لابد أن تنزل آية من القرآن تصحح له

---

[١] أنظر: السيرة النبوية: لابن هشام، ٣١٦/٢، مسند أحمد: ٢٤٧/١، رقم (٢٢١٦)، الطبقات الكبرى: لابن سعد، ١/٢-١٤، السيرة النبوية: لابن كثير: ٥١٢/٢، السيرة النبوية الصحيحة: ٣٦٨/٢، الرحيق المختوم: ص٢٢٩.

[٢] انظر: أنر: السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث: علي محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط:١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ٤٦/٢.

[٣] أنظر: شرح صحيح مسلم للنووي: ٨٦/١٢-٨٧، المغني: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ط:١، ١٤٠٥هـ، ٣٧٢/٨- ٣٧٤، السيرة النبوية الصحيحة: ٣٦٨/٢.

[٤] أنظر: التفسير الكبير للرازي: ٣٨٥/٤.

[٥] أنظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي: د. وهبة الزحيلي، دار الفكر ، دمشق، ط:١، ١٩٦٢م، ص٤٣٠.

إجتهاده، فإن لم تنزل آية كان ذلك دليلاً على ان إجتهاده قد وقع على ما هو الحق في علم الله تعالى [١].

قال شارح اللمع: (وقد كان الخطأ عليه ﷺ جائزاً، إلا أنه لا يقر عليه بل ينبه عليه سريعاً)[٢].

المطلب الثاني

العتاب في الإذن للمنافقين

قال تعالى: **(عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعلَمَ ٱلكَٰذِبِينَ٤٣)**[٣].

ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت: (في صنف مبالغ في النفاق، كانوا استأذنوا في التخلف عن غزوة تبوك دون اعتذار منهم: (عبدالله بن أبي، والجَدّ بن قيس، ورفاعة بن التابوت ومن تبعهم)، فقال بعضهم: ائذن لي ولا تفتني، وقال بعضهم: ائذن لنا في الإقامة، فأذن لهم رسول اللهﷺ استبقاء منه عليهم، وأخذاً بالأسهل بالأمور، وتوكلاً على الله)[٤].

فهذه الآية الكريمة ليس فيها ما يدل على قوع الذنب منه ﷺ، وغاية ما في الأمر، أن الله عز وجل عاتبه ﷺ لكونه أذن لبعض المنافقين في ترك الخروج للجهاد، لما اعتذروا إليه عن عدم الاستطاعة، فقبل منهم علانيتهم، ووكل سرائرهم إلى الله، دون أن يتبين ويعلم من هو صادق في عذره الذي أبداه، ومن هو كاذب فيه، فنزل العتاب من الله تعالى له على اذنه بذلك، مُبيناً له أن بعض الذين استأذنوه كانوا غير صادقين، فلم يكن ينبغي أن يأذن لهم فقال تعالى: **(عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعلَمَ ٱلكَٰذِبِينَ٤٣)**[٥].

والعفو هنا هو: التجاوز عن الذنب والتقصير، وترك المؤاخذة، وأصله: المَحو والطمس، مأخوذ من قولهم: عفت الرياح الآثار إذا طمستها ومحتها.

والمراد به هنا: الإذن للمنافقين[٦].

---

[١] أنظر: فقه السيرة للبوطي: ص٢٢٤- ٢٢٥، تأريخ التشريع الإسلامي: ص١١٠، ١٣١.
[٢] شرح اللمع لأبي اسحاق الشيرازي: ص٨٢٤، نقلاً عن فقه السيرة للبوطي: ص٢٢٥.

[٣] التوبة: ٤٣.
[٤] أنظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١٥٩/٤- ١٦٠، المحرر الوجيز لابن عطية، ٥٠٥/٦، زاد المسير في علم التفسير، ٣٧٩/٢، تفسير ابن كثير، ٣٦٠/٢- ٣٦١، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٣٠/١، فتح القدير، ٣٦٨/٢، فقه السيرة للبوطي، ص٣٩٩.
[٥] أنظر: تفسير ابن كثير، ٣٦٠/٢، فتح القدير، ٣٦٥/٢، السيرة النبوية الصحيحة، ٥٢٦/٢، ٥٣٦، النبوة والأنبياء للصابوني، ص٩٧.
[٦] أنظر: لسان العرب: باب الواو والياء من المعتل، ٧٢/١٥، تأريخ التشريع الإسلامي: ص١١٣.

وقدم ذكر العفو قبل العتاب اكراماً له ﷺ، قال سفيان بن عينيه: (انظروا إلى هذا اللطف، بدأ بالعفو قبل أن يعيره بالذنب)، وقال عمرو بن ميمون الأودي: (إثنان فعلهما رسول الله ﷺ دون إثنان أن يؤمر فيهما بشيء: اذنه للمنافقين، وأخذ الفدية من أسارى بدر فعاتبه الله فيهما)[١].

يقول صاحب تفسير المنار في التعبير عن عفو الله تعالى عن رسوله ﷺ في هذه الآية: (.. أخبره ربه ومؤدبه بالعفو قبل الذنب، وهو منتهى التكريم واللطف... وغايته: أن الأذن الذي عاتبه الله عليه، هو خلاف الأولى- ثم قال: والذنب في اللغة ليس مرادفاً للمعصية، وإنما هو كل عمل يستتبع ضرراً، أو قوت مصلحة أو منفعة، مأخوذة من ذنب الدابة، واذن المعفو عنه قد استتبع قوت المصلحة المنصوصة من الآية وهي تبيُّن الصادقين، والعلم بالكاذبين)[٢].

وقد كان الإذن المعاتب عليه هنا: اجتهاداً منه ﷺ فيما لا نص فيه من الوحي، فدلَّ على أنه جائز في حق الأنبياء (عليهم السلام)، وليسوا معصومين من الخطأ فيه، وإنما العصمة المتفق عليها، خاصة بتبليغ الوحي ببيانه والعمل به، فيستحيل على الرسول ﷺ أن يكذب أو يخطئ فيما يبلغه عن ربه، أو يخالفه بالعمل، وقد صرح علماء الأصول بجواز الخطأ في الإجتهاد على الأنبياء (عليهم السلام) ولكن لا يقرهم الله على ذلك، بل يبين لهم الصواب فيه، وغاية ما فيه هنا: أنه مخالف لما يقتضيه الحزم، وكان من لطف الله برسوله ﷺ أن أخبره بالعفو قبل بيانه له [٣].

المطلب الثالث

العتاب في إخفاء رغبته ﷺ الزواج بزينب وعلمه بأنها ستكون زوجته

قال تعالى: **(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧)**[٤].

ومن الروايات التي ذكرها أصحاب التفسير والحديث حول سبب نزول هذه الآية:

---

[١] أنظر: المحرر الوجيز لابن عطية، ٥٠٥/٦- ٥٠٦، زاد المسير في علم التفسير، ٣٧٩/٢، تفسير ابن كثير، ٣٦٠/٢، فتح القدير، ٣٦٧/٢.

[٢] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٩٠م، ٥٤١/١٠- ٥٤٢.

[٣] انظر: فتح القدير، ٣٦٥/٢، فقه السيرة للبوطي، ص٢٢٥، النبوة والأنبياء للصابوني ص٩٨-٩٩، تأريخ التشريع الإسلامي، ص١١١، ١١٣.

[٤] الأحزاب: ٣٧.

– ما ورد في صحيح البخاري وغيره عن أنس بن مالك ﷺ أن هذه الآية: **(وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ)** نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة [١].

– ما رواه مسلم والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: (لو كتم محمد ﷺ شيئاً مما أوحي إليه من كتاب الله تعالى لكتم: **(وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ)**[٢].

– ما روي عن علي بن الحسين أنه قال: (أعلم الله نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه، وقال له: (اتق الله وأمسك عليك زوجك) عاتبه الله، وقال له: (أخبرتك أنبي مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه)[٣].

– فالذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه ما أوحى الله إليه من أمر الزواج بها لحكمة عظيمة، هي ابطال حكم التبني، وقد خشي الرسول ﷺ من كلام المنافقين أن يقولوا: (إن محمداً تزوج بامرأة ابنه من التبني)، حيث كان زيداً ﷺ ما يدعى إلا زيد بن محمد [٤] كما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما):

(أن زيد بن حارثة ﷺ مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد)[٥].

قال العلماء: وإنما عوتب في هذه القصة على شيئين:

---

[١] أنظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب **(وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ)**، ١١٧/٦، رقم (٤٧٨٧)، وكتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، ١٢٤/٩، رقم (٧٤٢٠)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب، ٣٥٤/٥، رقم (٣٢١٢)، وقال الترمذي بعد سياقه: (هذا حديث حسن صحيح)، مسند أحمد، ٤٩٢/١٩، رقم (١٢٥١١).

[٢] أنظر: صحيح مسلم، المقدمة باب معنى قول الله عز وجل: **(وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣)**، ١٦٠/١، رقم (١٧٧)، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن الأحزاب، ٣٥٢/٥، رقم (٣٢٠٧)، مسند أحمد، ١١٦/٤٣، رقم (٢٦٠٤)، تفسير الطبري، ١٣/٢٢، تفسير القرآن، العظيم لابن أبي حاتم، أبي محمد عبدالرحمن الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)،تحقيق: اسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط:٣، ١٤١٩هـ، ٣١٣٥/٩.

[٣] أخرجه الطبري في تفسيره، ١٣/٢٢، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره، ٣١٣٥/٩، عن علي بن الحسين، ومن طريق السدي أيضاً، قال الحافظ ابن حجر عنه: (وهو أوضح سياقاً وأصح اسناداً إليه)، فتح الباري، ٤٠٣/٨، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير، ٣٨٧/٦، وابن كثير في تفسيره، ٤٩١/٣.

[٤] أنظر: تفسير الطبري، ١٣/٢٢، تفسير ابن كثير، ٤٩١/٣- ٤٩٢، فتح القدير، ٢٨٤/٤، محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط:١، ١٩٥٧م، ٨٥/٥، السيرة النبوية الصحيحة، ٦٥١/٢، النبوة والأنبياء للصابوني، ص١٠٧، الرحيق المختوم، ص٤٥٩.

[٥] متفق عليه، أنظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب **(ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ)**، ١١٦/٦، رقم (٤٧٨٢)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب (فضائل زيد بن حارثة)، ١٨٨٤/٤، رقم (٢٤٢٥).

- أحدهما: انه أخبر بأنها ستمكون زوجة له، فقال لزيد: (أمسك عليك زوجك) فكتم ما أخبره الله به من أمرها حياء من زيد أن يقول له: (إن زوجتك ستكون امرأتي).

- والثاني: أنه ﷺ لما رأي اتصال الخصومة بين زيد وزينب، ظنَّ أنهما لا يتفقان وأنه سيفارقها، وأضمر أنه إن طلقها تزوَّجتُها صلة لرحمها، واشفاقاً عليها،- لأنها كانت بنت عمته أميمة بنت عبدالمطلب، فعاتبه الله على اضمار ذلك واخفائه حين قال لزيد: (أمسك عليك زوجك)[1]، وأراد منه أن يكون ظاهره وباطنه عند الناس سواء، كما قيل له في قصة رجل أراد قتله: (هلا أومأت إلينا بقتله؟ فقال: (ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين [2])[3] ذكر هذا القول القاضي أبو يعلىρ).

يقول الشيخ الحجازي في التفسير الواضح: (.. فالذي كان يكتمه النبي ﷺ في نفسه تأذيه من هذا الزواج، وتراخيه في انفاذ أمر الله به، وخوفه من لفط الناس، وبخاصة المنافقين، عندما يجدون نظام التبني قد أنهار، ولهذا فقط عوتب (عليه الصلاة والسلام))[4].

وهذه الآية صريحة في هذا الشأن، فقد ذكرت الآية أن الله تعالى سيظهر ما أخفاه الرسولﷺ: **(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبدِيهِ)**، فالذي أظهره الله هو إرادة الرسول ﷺ الزواج بها، لأن الله قد أوحى إليه بأنها ستكون زوجته، ولهذا صرح الله تعالى بهذا الشأن الذي أخفاه الرسول ﷺ في نفسه، فقال تعالى: **(فَلَمَّا قَضَىٰ**

---

(1) أنظر: تفسير الطبري، ١٣/٢٢، تفسير ابن أبي حاتم، ٣١٣٥/٩، زاد المسير في علم التفسير، ٣٨٧/٦، أحكام القرآن لابن العربي، أبو بكر محمد بن العربي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، دار إحياء الكتب العربية، دار إحياء الكتب العربية، ط:١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ١٥٤٠/٣، تفسير ابن كثير، ٤٩١/٣، الدر المنثور- التفسير بالمأثور، ٦١١/٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٨٩/١٤، فتح القدير، ٢٨٤/٤.

(2) قال الخطابي ρ: معنى خائنة الأعين: (أن يضمر بقلبه على غير ما يظهره للناس، فإذا اكفَّ بلسانه وأومأ بعينه إلى خلاف ذلك فقد خان، وكان ظهور تلك الخيانة من قبل عينه، فسميت خائنة الأعين، قال وفي الحديث: دليل على أن ظاهر السكوت من رسول الله ﷺ في الشيء يراه يصنع بحضرته، يحل محل الرضى به والتقرير له)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط:٢، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ٣٤٧/٧.

(3) أنظر: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام، ٥٩/٣، رقم (٢٦٨٣)، وذكره أبو داود أيضاً في كتاب الحدود، باب الحكم في المرتد، ١٢٨/٤، رقم (٤٣٥٩)، السنن الكبرى للنسائي، كتاب المحاربة، باب الحكم في المرتد، ٣٠٢/٢، رقم (٣٥٣٠)، مسند أبي يعلى، ١٠٠/٢، رقم (٧٥٧)، مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمر بن عبدالخالق البزار (ت٢٩٣هـ)، تحقيق: محفوظ عبدالرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، ط:١، ١٤٠٩هـ، ٣٥٠/٣، رقم (١١٥١)، قال الهيثمي: (رواه أبو داود وغيره باختصار، ورواه أبو يعلى والبزار ورجالهما ثقات)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٦٨/٦، وأورده المقدسي في الأحاديث المختارة، وعزاه لأبي داود والنسائي وقال: (إسناده صحيح)، أنظر: الأحاديث المختارة، أبو عبدالله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط:١، ١٤١٠هـ، ٢٤٨/٣-٢٤٩، رقم (١٠٥٤).

(4) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، لبنان، ط:١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ١٢/٢٢.

زَيد مِّنهَا وَطَرا زَوَّجنَٰكَهَا)[1]، أي لما فرغ منها وفارقها زوجناكها، وكان الذي تولى تزويجها هو الله تعالى، فأوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر، ولا شهود من البشر[2].

وهكذا شاء الله تعالى أن يكون الرسول ﷺ الإمام القدوة وأبرز مثل وأقواه في إبطال واقتلاع عادة التبني، وخرقاً لعرف جاهلي سائد قولاً عملاً، وفي ابطال ما يترتب عليها من توارث باطل يحجب أصحاب الحقوق الفعليين، ويحرم زواج الرجل من امرأة تحل له، برغم أنها كانت زوجة إبنه في نظرهم، وإنما هو متبناه [3]، قال تعالى: **(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَد مِّن رِّجَالِكُم وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّنَ ٤٠)**[4]، أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة- حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح [5].

وقال تعالى: **(ٱدعُوهُم لِأَبَآئِهِم هُوَ أَقسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ...٥)**[6].

قال ابن كثير في هذه الآية: (هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الاسلام من جواز إدعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط)[7].

المطلب الرابع

العتاب في تحريمه ﷺ بعض أزواجه

قال تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبتَغِي مَرضَاتَ أَزوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُور رَّحِيمٌ ١)**[8].

تعرض هذه السورة الكريمة لصفحة من الحياة الكريمة التي كان يعيشها الرسول ﷺ مع زوجاته الطاهرات في بيت النبوة، وتبدأ بعتاب لطيف للرسول ﷺ على حرمان نفسه من شيء أباحه الله، وهذا العتاب يكشف لنا عن مقدار كرامة النبي ﷺ على ربه، ومكانته لديه [9].

واختلف في سبب نزول صدر هذه السورة:

---

(1) الأحزاب: ٣٧، أنظر: تفسير ابن كثير، ٤٩١/٣، فتح القدير، ٢٨٤/٤، النبوة والأنبياء للصابوني، ص١٠٨، الرحيق المختوم، ص٤٥٩.

(2) أنظر: تفسير ابن كثير، ٤٩١/٣، فتح القدير، ٢٨٥/٤، الرحيق المختوم، ص٤٥٩.

(3) أنظر: التفسير الواضح، ١٢/٢٢، السيرة النبوية الصحيحة، ٦٥٧/٢.

(4) الأحزاب: ٤٠

(5) أنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٨٩/١٤، تفسير ابن كثير، ٤٩٢/٣.

(6) الأحزاب: ٥

(7) تفسير ابن كثير، ٤٦٦/٣.

(8) التحريم:١.

(9) انظر: التفسير الواضح الميسر، للصابوني، ص١٤٣٣.

١. قيل: نزلت في شأن مارية القبطية (أم إبراهيم).

وكان رسول الله ﷺ قد حرمها، فنزل قوله تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ)**؛ فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين.

فعن ابن عمر عن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال النبي ﷺ لحفصة: (لا تخبري أحداً، وأنَّ أم إبراهيم عليَّ حرام)، فقالت: أتحرم ما أحل الله لك؟ قال فو الله لا أقربها، قال: فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، قال: فأنزل الله: **(قَد فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُم تَحِلَّةَ أَيمَٰنِكُم)**[١].

٢. وقيل: أن ذلك في تحريمه شرب العسل على نفسه الذي عند بعض نسائه كما قال البخاري عند هذه الآية [٢].

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلاً، فتواطأت أنا وحفصه أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ، فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير[٣]، أكلت مغافير، فدخل على أحداهما النبي ﷺ، فقالت ذلك، فقال: بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له، فنزلت: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ)** إلى قوله: **(إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَد صَغَت قُلُوبُكُمَا)**[٤].

قال الشوكاني: (والجمع بينهما ممكن بوقوع القصتين: قصة العسل، وقصة مارية، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً)[٥].

قال الحافظ ابن حجر: (وقد اختلف في الذي حرم على نفسه، وعوتب على تحريمه، كما اختلف في سبب حلفه على أن لا يدخل على نسائه على أقوال:

فالذي في الصحيحين: أنه العسل، وقول آخر: إنه في تحريم جاريته مارية، ووقع في رواية يزيد بن رومان عن عائشة عند ابن مردويه ما يجمع القولين- وذكر غيره- ثم قال: والراجح من الأقوال كلها قصة مارية لاختصاص عائشة وحفصه بها، بخلاف العسل، فإنه اجتمع فيه جماعة منهن، قال: ويحتمل أن

---

(١) قال ابن كثير: (وهذا اسناد صحيح، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج)، تفسير ابن كثير، ٣٨٦/٤، وأنظر: تفسير الطبري، ٤٧٦/٢٣-٤٧٧، المحرر الوجيز لابن عطية، ٣٢٩/٥- ٣٣٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٨٥/١٨، تفسير الرازي، ٥٦٨/٣٠.

(٢) أنظر: تفسير ابن كثير، ٣٨٦/٤، فتح القدير، ٢٤٩/٥.

(٣) المغافير: له ريح كريهة منكرة، أنظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٧٤/٣.

(٤) التحريم:١-٤، والحديث متفق عليه، أنظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب إذا حرم طعامه، ١٤١/٨، رقم (٦٦٩١)، وكتاب التفسير، باب **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ)**، ١٥٦/٦، رقم (٤٩١٢)، وكتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك، ٤٤/٧، رقم (٥٢٦٧)، (٥٢٦٨)، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته، ١١٠٠/٢، رقم (١٤٧٤)، سنن ابي داود، كتاب الأشربة، باب في شراب العسل، ٣٣٥/٣، رقم (٣٧١٤).

(٥) فتح القدير، ٢٥٢/٥.

تكون الأسباب جميعها اجتمعت فأشير إلى أهمها، ويؤيده شمول الحلف للجميع، ولو كان مثلاً في قصة مارية فقط لاختص بحفصة وعائشة)[١].

وقال ابن كثير: (والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية)[٢]

وهكذا من خلال ما سبق يبين لنا سبب نزول هذه السورة الكريمة أنه ليس لأحد أن يحرم على نفسه ما أحل الله له، لإرضاء أحد، إذ ليس ذلك بمصلحة له، ولا للذي يسترضيه.

قال الشوكاني: (هذا هو الحق أن تحريم ما أحل الله لا ينعقد، ولا يلزم صاحبه، فالتحليل والتحريم هو لله سبحانه لا إلى غيره، ومعاتبته لنبيه ﷺ في هذه السورة أبلغ دليل على ذلك، والبحث في هذا الموضوع طويل والمذاهب فيه كثيرة والمقالات فيه طويلة)[٣].

المطلب الخامس

العتاب في إعراضه ﷺ عن ابن أم مكتوم

قال تعالى: **(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ... ٤)**[٤].

من الروايات التي ذكرها المفسرون وأصحاب الحديث في سبب نزول هذه الآيات:

- ما روى عن إبن عباس (رضي الله عنهما): (أن رسول الله ﷺ كان يوماً يناجي عتبة بن ربيعة، وأبا جهل بن هشام، وأمية وأبياً ابني خلف، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويرجو اسلامهم فجاء ابن أم مكتوم الأعمى، فقال: علمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يناديه، ويكرر النداء، ولا يدري أنه منشغل بكلام غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطعه كلامه، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وأقبل على القوم يكلمهم، فنزلت هذه الآيات)[٥].

---

[١] فتح الباري، ١٩٩/١١، وأنظر: زاد المسير في علم التفسير، ٣٠٦/٨، أحكام القرآن لابن العربي، ١٨٤٤/٤، التحرير والتنوير لابن عاشور، ٣٤٥/٨، فتح القدير، ٢٥٠/٥.

[٢] تفسير ابن كثير، ٣٨٧/٤.

[٣] فتح القدير، ٢٥٠/٥.

[٤] عبس: ١-٤.

[٥] ذكره الواحدي في أسباب النزول، ص٣٣٣، بغير سند، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث أحاديث الكشاف، ص١٨١: (ذكره الثعلبي بلا اسناد، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه)، وذكره ابن كثير في تفسيره، ٤٧٠/٤- ٤٧١، وقال: (فيه غرابة ونكارة وقد تكلم في اسناده)، وأنظر: زاد المسير في علم التفسير، ٢٧/٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢١٤/١٩، فتح القدير، ٣٨٦/٥.

- ما رواه الترمذي والحاكم وابن حبان عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (نزلت **(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ)** في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجال من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: (أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزلت **(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ)**)[1].

فكان رسول الله يكرمه بعد ذلك، ويقول: (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي)[2]، ويقول: (هل لك من حاجة في شيء)[3].

يتضح من خلال سبب نزول هذه الآيات، أن رسول الله ﷺ اجتهد في الإعراض عن الأعمى ابن أم مكتوم عندما جاءه وهو مشغول بدعوة نفر من رؤساء قريش ووجهائهم إلى الاسلام، فعلمﷺ أن اقباله على الأعمى قد ينفرهم ويقطع عليه طريق دعوته، وكان يحرص على دعوتهم، لأنهم إذا أسلموا أسلم بإسلامهم الناس، فترك لما هو في نظره أهم وأعظم، فعاتبه الله تعالى على هذا وبينَّ له ما هو الأفضل والأحسن [4].

ومن هنا يمكن تعليل شدة أسلوب العتاب الذي وجهه الله لرسوله ﷺ للإهتمام الكبير الذي أظهره لوجهاء قريش على حساب استقباله لابن أم مكتوم الضعيف، إذ كان الأولى عند الله، أن يقبل على ذلك الأعمى الفاضل البر التقي، ويترك أولئك المعاندين[5].

كما يظهر أن النبي ﷺ كان حريصاً على هذه الفرصة أن لا تفوته، وأملاً في أن يجيب عبدالله بن أم مكتوم في أي وقت آخر، فعاتبه الله على ذلك في سورة **(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢)** وأنكر عليه اجتهاده هذا.

---

(1) أنظر: سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة عبس، ٤٣٢/٥، رقم (٣٣٣١)، وقال الترمذي بعد سياقه: (هذا حديث حسن غريب)، وقال الألباني عنه: صحيح الاسناد، وقال الألباني عنه: (صحيح الاسناد)، انظر: صحيح وضعيف، سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٣٣١/٧، رقم (٣٣٣١)، المستدرك على الصحيحين، ٥٥٨/٢، رقم (٣٨٩٦)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، وقال الذهبي في تعليقه: (على شرط البخاري ومسلم)، صحيح ابن حبان، باب ذكر ما يستحب للمرء الا قبال على الضعفاء القيام بأمور هم، ٢٩٤/٢، رقم (٥٣٥).

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢١٣/١٩، وقال علوي بن عبدالقادر السقّاف في تخريج أحاديث وآثار كتاب (في ظلال القرآن)، ٤١٧/٢، أورده الديلمي في الفردوس، رقم (٦٨٠٥)، بدون سند عن أنس ﷺ، لكن روى أبو يعلى في (مسنده) باسناد ظاهره الصحة عن أنس ﷺ قال: (جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه، فأنزل الله: **(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ)** قال: فكان النبي بعد ذلك يكرمه)، أنظر: مسند أبي يعلى، ٤٣١/٥، رقم (٣١٢٣).

(3) التفسير الكبير للرازي، ٣٥٢/١٦، تفسير ابن كثير، ٤٧٠/٤، فتح القدير، ٣٨٦/٥.

(4) أنظر: تفسير ابن كثير، ٤٧٠/٤-٤٧١، فتح القدير، ٣٨٣/٥، النبوة والأنبياء، للصابوني، ص٩٩، تأريخ التشريع الإسلامي، ص١٥.

(5) أنظر: السيرة النبوية الصحيحة، ١٦٧/١، نبي الرحمة الرسالة والإنسان، محمد مسعد ياقوت الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، مصر، ط:١، ٢٠٠٧م، ص٢٤٩.

ويؤخذ من هذا أنه ليس لأحد من الناس أن يغير شيئاً من أحكام الإسلام ومبادئه، أو يتجاوز شيئاً من حدوده أو يستهين بها باسم اتباع الحكمة في النصيحة والدعوة، لأن الحكمة لا تعتبر حكمة إلا إذ كانت مقيدة ومنضبطة ضمن حدود الشريعة ومبادئها وأخلاقها [1].

المطلب السادس

العتاب في طرد المؤمنين الضعفاء عن مجلسه ﷺ

قال تعالى: **(وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِن حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢)** [2].

ومن الروايات التي ذكرها أصحاب التفسير والحديث في سبب نزول هذه الآية:

– ما رواه ابن جرير عن ابن مسعود التي ذكرها ابن مسعود ﷺ أنه قال: (مرَّ الملأ من قريش برسول اللهﷺ)، وعنده (صهيب، وبلال، وعمّار، وخبَّاب)، وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم، فلعلك إن طردتهم نتبعك؟ فنزلت هذه الآية: **(وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ)** [3].

– ما رواه مسلم وابن ماجه وابن حبان وغيرهم، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: (كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل، وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) [4].

– يتضح من خلال سبب نزول هذه الآية، أن هذه الآية فيها تحذير له ﷺ على إجابة كفار قريش في طرد المؤمنين المستضعفين، وليس فيها ما يدل على

---

[1] أنظر: فقه السيرة للبوطي، ص١١٦.

[2] الأنعام: ٥٢.

[3] أنظر: أسباب النزول للواحدي، ص١٦٢- ١٦٣، تفسير ابن كثير، ١٣٤/٢، فتح القدير، ١٢٠/٢-١٢١، محاسن التأويل، ٢٣٢٣/٩، لباب النقول في أسباب النزول، ص٩٨-٩٩

[4] أنظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، ١٨٧٨/٤، رقم (٢٤١٣)، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء، ١٣٨٢/٢، رقم (٤١٢٨)، صحيح ابن حبان، باب ذكر سؤال المشركين رسول اللهﷺ طرد الفقراء عنه، ٥٣٥/١٤، رقم (٦٥٧٣).

أنه طردهم فعلاً، وإنما هو عرض عرضه المشركون على رسول الله ﷺ فجاء التنبيه من الله والتحذير من فعله.

ومن ذلك يتبينَّ لنا أن رسول ﷺ لم يطرد هؤلاء الضعفاء، وإنما همَّ بابعادهم من مجلسه، حين قدوم أولئك المشركون، فكاد الرسول ﷺ يجيبهم طعماً في اسلامهم وهدايتهم، ليتألف قلوبهم فيقودهم ذلك إلى الإيمان، فنهاه الله تعالى عن تنفيذ ذلك الهم، وأمره أن يجعل هؤلاء الفقراء المستضعفين جلساءه وأخصاءه [1]، كما قال تعالى في سورة الكهف: **(وَٱصبِر نَفسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِٱلغَدَوٰةِ وَٱلعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجهَهُۥ وَلَا تَعدُ عَينَاكَ عَنهُم تُرِيدُ زِينَةَ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَلَا تُطِع مَن أَغفَلنَا قَلبَهُۥ عَن ذِكرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمرُهُۥ فُرُطا ٢٨)**[2].

إلى غير ذلك من آيات القرآن الكريم التي تناولت سيرة الرسول ﷺ من مختلف هذه الجوانب.

الخاتمة

في ختام هذه البحث نستطيع نجمل أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث من خلال البحث على النحو الآتي:

أولاً: النتائج

لعل من أبرز النتائج التي خلص إليها البحث ما يلي:

١- القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ لفظاً ومعنى، بطريق الوحي، للبيان، والتحدي، والإعجاز، المتعبد بتلاوته وبأحكامه، المنقول بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس.

٢- أن لفظ السيرة إذ أطلقت أو جيء بها مفردة معرفة قُصد بها تخصيصاً: سيرة النبي ﷺ، أي تأريخ حياة الرسول ﷺ من مولده إلى وفاته، فضلاً عن ذكر خصاله وأحواله وعاداته، والأحداث المرتبطة بالدعوة، كالوحي والهجرة والغزوات، والوفود.

---

[1] أنظر: تفسير ابن كثير، ١٣٤/٢- ١٣٥، فتح القدير، ١٢٠/٢- ١٢١، محاسن التأويل السيرة النبوية الصحيحة، ١٦٦/١، النبوة والأنبياء للصابوني، ص١٠٤، روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، محاسن التاؤيل، ٢٣٢٣/٩، دار العلم للملايين، بيروت، ط:١٨، ١٩٧٩م، ص ٢٢٨، منهج القرآن في تطوير المجتمع – أطروحة دكتوراه: محمد صالح عطية الحمداني، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية،، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ص ٢٥٣.

[2] الكهف: ٢٨.

٣- إن القرآن الكريم هو المصدر الأول لمعرفة الملامح العامة لحياة الرسول ﷺ، وفي الإطلاع على المراحل الإجمالية لسيرته الشريفة، بقطع النظر عن أسلوب القرآن في بيان لك.
٤- إن أهمَّ ما في سيرة النبي ﷺ وأوثقها وأكثرها صحة، هو ما اقتبس من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
٥- عرض القرآن الكريم جميع سيرة الرسول ﷺ، قبل النبوة وبعدها، فذكر يتم النبيﷺ وفقره ونشأته، وتحنثه في غار حراء.
٦- عرض القرآن الكريم شؤونه ﷺ بعد النبوة، من نزول الوحي الإلهي عليه ﷺ في غار حراء، وتبليغه إياه، والمراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية منذ أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإنذار عشيرته الأقربين، والعروج به ﷺ.
٧- كما تناول القرآن الكريم عداوة الأعداء، ومالقي ﷺ من اتهامات وافتراءات كاذبة أطلقها المشركون عليه ﷺ، تآمرهم على قتله، وحماية الله تعالى له، هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة.
٨- وصف القرآن الكريم بعض المشاهد من غزواته ﷺ، وامداد الله تعالى له بالملائكة، ونصره على أعدائه والتمكين له في الأرض.
٩- بينَّ القرآن الكريم جانباً من معاملته ﷺ لأزواجه أمهات المؤمنين الطاهرات، كما عرض لحياته ﷺ مع أصحابه الكرام، وحُسن معاملته لهم، وأسلوبه في الدعوة إلى الله تعالى كما رسمتها آيات القرآن الكريم.
١٠- عرض القرآن الكريم في كثير من الآيات أحكام النبي ﷺ وقضاءه وقضاياه، كما بينّ موقف المنافقين والنفاق في المدينة من دعوة الرسول ﷺ كما صور تصويراً دقيقاً عن تحديد علاقة المعايشة بين النبي ﷺ واليهود ومجادلة النصارى.
١١- عرض القرآن الكريم أخلاق النبي ﷺ الكريمة التي اتصف بها ﷺ من الرحمة والرأفة والشفقة على المسلمين، وحرصه الشديد على رشاد القوم، وخوفه الشديد على الناس من الهلاك والضلال.
١٢- وضحت آيات القرآن الكريم أن النبي ﷺ هو القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة، التي يجب على المسلمين اتباعه، فقال تعالى: **(لَّقَد كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرجُواْ ٱللَّهَ وَٱليَومَ ٱلأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١)** [1].
١٣- تولى القرآن الكريم التعليق على الأحداث والوقائع التي كانت تعرض للرسول ﷺ، من خلال الإجابة على ما قد يُتْشكِل فيها، وكشف الغوامض

[1] الأحزاب: ٢١.

التي تحيط بالأحداث، ولفت نظر المسلمين إلى ما فيها من عبرة وموعظة.

١٤- أن القرآن الكريم بينَّ جزءاً مهماً من سيرة النبي ﷺ، من خلال ما ورد في القرآن من آيات العتاب لأعمال الرسول ﷺ وتصرفاته في بعض الأمور عن طريق الاجتهاد.

١٥- إن حديث القرآن الكريم عن ذلك كله إنما يأتي بإيجاز، فهو لا يتعدى بيان الملامح العامة، والعرض الإجمالي للوقائع والأخبار من سيرة النبي ﷺ.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء النتائج التي خلص اليها البحث يمكن تقديم التوصيات الآتية:

١. توجيه طلبة الدراسات العليا، الماجستير والدكتوراه للكتابة في سيرة النبي ﷺ في القرآن الكريم ودراستها دراسة تحليلية مستفيضة، يستنبط منها الحكم والأحكام والعظات والعبر والدروس وربطها بواقع الحياة، ومحاولة تطبيقها وتنفيذها، ومما لا شك فيه أن هذه الدراسات سيكمل بعضها بعضاً، ومن شأنها أن تبرز التكامل في سيرة الرسول ﷺ القرآنية وشخصيته المتكاملة.

٢. توجيه الصحافة ووسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة والإلكترونية نحو عرض الآيات القرآنية المتعلقة بحياة الرسول ﷺ وسيرته وتحليلها وتعزيرها في المجتمع لما في ذلك من تأثير عظيم في عقول الصغار والكبار.

٣. على دور الاصلاح ومراكزه والجهات الحكومية المختصة، القيام بدورها، حيال التثقيف الأسري للمجتمع من خلال عرض سيرة الرسول ﷺ في القرآن الكريم.

٤. بناء برامج وخطط ومشروعات عملية في كتابة السيرة النبوية في القرآن الكريم، تستلهم الهدي القرآني، والأسوة النبوية، وتستنير بنور الجيل الأول، وتمثلاته العملية، وتكون قادرة على تحقيق النهوض الحضاري المنشود، وعرض هذه البرامج وتدريسها بطريقة تسهم في بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة.

وختاماً فإن هذا البحث جهد بشري كما يحتمل الصواب يحتمل الخطأ، وقد بذلت ما وفقني الله إليه، وهو جهد المقل، لا أدعي فيه الكمال، فالكمال لله وحده، والتقصير من طبيعة البشر، كما لا أدعي استيعاب جميع جوانب الموضوع، وتوضيح كل ما تضمنه من أفكار ودلالات، لإدراكي التام، أنه جهد بشري، وجيء أني حاولت لفت الأنظار إلى

أهمية هذا الموضوع وما يتعلق به، فإن كنت قد أصبت، فذلك من فضل الله وتوفيقه، وإن أخطأت أو قصرت فمن نفسي والشيطان.

سائلاً المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم: **(يَومَ لَا يَنفَعُ مَال وَلَا بَنُونَ٨٨ إِلَّا مَن أَتَى ٱللَّهَ بِقَلب سَلِيم ٨٩)**[1]. **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم:**

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين بن عبدالرحمن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)، تحقيق، سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٦م.

٢. آثار الحرب في الفقه الاسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٦٢م.

٣. الأحاديث المختارة، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط:١، ١٤١٠هـ.

٤. أحكام القرآن لابن العربي، أبو بكر محمد بن العربي، (ت٥٤٣هـ)، تحقيق، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.

٥. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق، أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٦. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، (ت٤٦٨هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٧٩هـ- ١٩٥٩م.

٧. الاصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

[1] الشعراء: ٨٨- ٨٩.

٨. إنارة الدجى في مغازي خير الورى (ﷺ)، حسن بن محمد المشاط المالكي، (ت١٣٩٩هـ)، دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٢٦هـ.
٩. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، (ت٧٩٤هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ط.ت).
١٠. البنأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، د. محمد عبدالله دراز، (ت١٣٧٧هـ)، دار القلم، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١١. تاج العروس من جواهر القاموس، أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ط.ت).
١٢. تأريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٣. تأريخ التشريع الاسلامي، مناع القطان، مكتبة، وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
١٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.
١٥. تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ) تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، (د.ط.ت).
١٦. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٩٠م.
١٧. تفسير القرآن العظم لابن أبي حاتم، أبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن ادريس الرازي ابن أبي حاتم، (ت٣٢٧هـ)، تحقيق، أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفي الباز، ط٣، ١٤١٩هـ.
١٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).
١٩. التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب، محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢، (د.ت).
٢٠. التفسير الواضح الميسر، محمد علي الصابوني، الأفق للطباعة، المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، ط:٧، ٢٠٠٦م.

٢١. التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٢. تهذيب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيه (ت٧٥١هـ)، تهذيب، عبدالمنعم صالح العلي العزي، مؤسسة الرسالة، ط:٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٢٣. الجامع الأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت٦٧١هـ)، تحقيق، أحمد البردوني، وابراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
٢٤. جمع الجوامع، تاج الدين عبدالوهاب السبكي، (ت٧٧١هـ)، تعليق، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٢م.
٢٥. جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء، الدكتور عبد القيوم عبد الغفور السندي، (بقية المعلومات بدون).
٢٦. حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، عبدالرحمن بن علي بن الدبيع الشيباني، (ت٩٤٤هـ)، تحقيق، عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، دار إحياء التراث الاسلامي، قطر، ط٢، ١٩٨٢م.
٢٧. خاتم النبيين (ﷺ)، محمد محمد أبو زهرة، (ت١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م.
٢٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢٩. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المبار كفوري، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ- ١٩٥٧م.
٣٠. الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٤هـ.
٣١. روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١٨، ١٩٧٩م.
٣٢. زاد المسير في علم التفسير، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤٠، ١٤٠٧هـ.

٣٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، (٧٥١هـ)، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
٣٤. سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الاسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
٣٥. سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، (ت٢٧٣هـ)، تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، (د. ط.ت).
٣٦. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، (٤٥٨هـ)، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٣٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، (ت٢٧٩هـ)، تحقيق، أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٣٨. سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، (٣٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ،-١٩٩١م.
٣٩. السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٤٠. السيرة النبوية لإبن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام، (ت٢١٨هـ)، تحقيق، مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م.
٤١. السيرة النبوية، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار الرئد العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٤٢. السيرة النبوية، السيد أبي الحسن علي الحسين النوي- عنى بطبعه، عبدالله بن ابراهيم الأنصاري، طبع على نفقه، حاكم قطر، خليفة بن محمد آل ثاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٤٣. السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٤٤. سيرة النبي (ﷺ)، شبيلي النعماني، وتكملته للسيد سليمان الندوي: تقي الدين بدر الندوي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
٤٥. السيرة، النبوية دراسة تحليلية، محمد عبدالقادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٤٦. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي ابن محمد بن أبي العز الدمشقي، (ت٧٩٢هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٤٧. شرح مسلم للنووي، يحيى بن شرف أبو زكريا محيي الدين النووي، (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
٤٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري بن حماد أبو الجوهري، (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.
٤٩. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد حبان البُتي، (ت٣٥٤هـ)، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
٥٠. صحيح أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، (ت١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٥١. صحيح البخاري، (الجامع الصحيح المختصر)، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق، د. مصطفى ديب البغاء، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٥٢. صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الاسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٥٣. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت٢١٦هـ)، تحقيق، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٥٧هـ- ١٩٥٥م.

٥٤. صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٥٥. الطبقات الكبرى لابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع، (ت٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.
٥٦. الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، الاتحاد العالمي الاسلامي للمنظمات العلمانية، ط٣، ١٤٠٣هـ.
٥٧. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة النورة، ط:٢، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
٥٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد ين علي حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، تحقيق، عبدالعزيز بن باز، وترقيم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
٥٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، عالم المعرفة، (د.ط.ت).
٦٠. فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٦١. في ظلال القرآن، سيد قطب، (ابراهيم حسن الشاربي)، (ت١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.
٦٢. القاموس الإسلامي، أحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط.ت).
٦٣. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، (ت٨١٧هـ)، مطبعة مصطفى الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط٢، ١٣٧١هـ.
٦٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، مطبعة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٦٦م.
٦٥. اللألئ الحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين الاشين، مطبعة الفجر الجديد، (د.ط.ت).
٦٦. لُباب النقول في أسباب النزول/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١هـ)، المكتبة الشعيبة، بيروت، لبنان، ط٢، (د.ت).

٦٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٦٨. مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط:١٠، ١٩٧٧م.
٦٩. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، (ت١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٧٠. مجاز القرآن، أبي عبيدة بن المثني التيمي (ت٢٠٩هـ)، تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين، دار الفكر، ط:٢، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
٧١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط١، (د.ت).
٧٢. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، (ت١٣٣٢)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.
٧٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية الأندلسي، (ت٥٤٦هـ)، تحقيق، عبدالسلام الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٧٤. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، (ت٦٦٦هـ)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (د.ت).
٧٥. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، (ت٤٠٥هـ)، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٣م.
٧٦. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلي الموصلي، (ت٣٠٧هـ)، تحقيق، حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٧٧. مسند الامام أحمد، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت).
٧٨. مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار، (ت٢٩٣هـ)، تحقيق، محفوظ عبدالرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٩. معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق، عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٨٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق، عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر- ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٨١. المغازي للواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: د. مارسدن جونسن، مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٦٦م.
٨٢. المغني، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، (ت٦٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٨٣. مناقب الشافعي، أبو بكر أحمد بن الحسين على البيهقي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق، أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧١م.
٨٤. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُرقاني، (١٣٦٧هـ)، تخريج، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- لبنان، ١٤١٦هـ.
٨٥. منهج القرآن في تطوير المجتمع، أطروحة دكتوراه، محمد صالح عطية الحمداني، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
٨٦. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، (ت٣٣٩هـ)، القاهرة، (د.ط.ت).
٨٧. النبوة والأنبياء، محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٨٨. نبي الرحمة الرسالة والإنسان، محمد مسعد ياقوت، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر، ط:١، ٢٠٠٧م.
٨٩. نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد معيد، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٦م.
٩٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٩١. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت١٢٥٠هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
٩٢. الواضح في علوم القرآن، د. مصطفى ديب البغاء، ومحيي الدين مستور، دار، الكلم الطيب، ودار العلوم الانسانية، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ.